الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة – بوزريعة –

قسم اللغة العربية وآدابها

مطبوعة بيداغوجية في وحدة الأدب العباسي

للسنة الثانية ملمح ثانوي ومتوسط

إعداد الأستاذ: دراجي سعيدي

العام الدراسي: 2021/2020

المظهر الحضاري وانعكاسه على الحياة الأدبية .

الأدب في كل أمة خاضع لتطور حياتها في النواحي السياسية وما كان يجري فيها من نظم وظروف وأحداث مختلفة ، والاجتماعية وما كان يشيع فيها من تحضر وترف وشغف بالغناء وإغـراق في المجـون وزندقة وزهد ونسك ، والثقافية وما التحم بها من تـرجمة الثقافات الأجنبية ونشـــاط الـحركة العلمية ووضع العلوم اللغوية والدينية والكلامية والتاريخ وغيرها، فهي التي تحدد مجراه واتجاهاته ، وهي التي تفرض عليه التغيرات من طور إلى طور ، فتتبدل موضوعاته وصوره وألفاظه وأساليبه ، وتظهر فيه معـان جديدة في صياغات غير مألوفة .

وبقدر هذه التغيرات التي تحدث في حياة كل الأمة ، يكون التغير الذي يحدث في تطور وحركة الأدب ، فكان لابد من الإلمام بشيء من تلك التغيرات التي طـــرأت على الحياة العربية الإسلامية في العصر العباسي بطوريه : الطور الأول من 132هـ إلى 334هـ، والطور الثاني من 334هـ إلى 656هـ ومدى تأثير هذه التغيرات على الأدب : شعره ونثره . ([1])

ومن الطبيعي أن يحدث التغير في حياة المجتمع العربي الإسلامي ، وخاصة بعد الفتوحات الإسلامية : شرقا وغربا شمالا وجنوبا ، فبعد أن كان مجتمعا عربيا خالصا إلا من فئات قليلة حبشية وفارسية ورومية متفرقة هنا وهناك ، تقوم بخدمة الأسياد أو تعمل في تجارة بسيطة أو حرف يدوية ، وتصطنع الجـواري الغـناء ، وصار هذا المجتمع في العصر العباسي مزيجا مـن العـرب والأجناس الأخرى ، وأصبح للموالي صوت ، بدأ يقوى مبكرا في النصف الثاني من القرن الأول الهجـري ، فخاضوا في ميـــدان الخلافات بل والصراعات ضد الخـلافة الأموية الحاكمة . يقول شاعرهم (أبو حرة) وهو يتكلم باسمهم :

أبلغ أميـــــة إن عـــــرضت لها وابـــن الزبير وأبلغ ذلك العـــربا

أن الموالي أضحت وهـــي عاتبة على الخليفة تشكو الجوع والجربا

[1] - ينظر محمد مصطفى هدارة : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري دار المعارف بمصر د.ط د. ت ص 23

الحياةالسياسية في العصر العباسي :

تبرز حكومة بني العباس السرية بدعامة أبي مسلم الخراساني - وكان من دهاة الرجال وأكفئهم - وعلى رأسها أبو سلمة الخلال ، ويتجه أبو العباس (السفاح) إلى المسجد الجامع في الكوفة ، فيبايعه الناس ، فتقوم خلافة العباسيين بعد سقوط خلافة الأمويين ، بعد أن لقي مـــروان بن محمد حتفه سنة 132هـ .[2]

وتذكر كتب التاريخ والأدب أن العباسيين مضوا يفتكون بأفراد الأسرة الأموية الحاكمة فتكا ذريعا ، وكان هذا البطش الذي لا يبقي ولا يذر ، دافعا للفرار طلبا للنجاة كما فعل البطل الأموي عبد الرحمن الداخل - صقر قريش - الذي لجأ إلى الأندلس ، حيث أسس بها خلافة أموية جديدة دامت نحو ثلاثة قرون .

اتخذ العباسيون العراق مقرا لهم وموئلا لخلافتهم ، ولم يلبث الخليفة أبو جعفر المنصور أن بنى مدينة بغداد ، وسماها (دار السلام) وبها الاسم كانت تضرب النقود العباسية ، لتكون مركزا للدولة العباسية .ومضى العباسيون يحيطون أنفسهم بهالة من التقديس (حماة وحراسا للدين وخلفاء الله في أرضه) كان لها أسوأ الأثـر في خنوع الناس وخضوعهم للظلم والهوان ، في ظل حكم استبدادي لا يحسب أي حساب للرعية .

و كانت أهم الأسس التي استخدمها العباسيون للوصول إلى غايتهم هي :

ـ السرية وكانت في الكوفة ، واستغلال الدين في مسألة الأحقية في الخلافة ، في حين كانت دعوتهم سياسية .

ـ المذهب الشيعي السائد في العراق وخراسان وخاصة بين الموالي – الذين كانوا ينادون بالمساواة – حتى بدت الدعوتان : الشيعية والعباسية في بداية الأمر شيئا واحدا .

لكن التطور الكبير في الحياة السياسية بالنسبة للموالي ، لم يزدهم إلا اعتزازا بأنفسهم وشعورا بقوتهم ، وأحس الخلفاء العباسيون بخطر قيام ثورة من قبلهم ن بسبب الحنين إلى المجد البائد والأمـاني الجديدة ، فقرر أبو جعفر المنصور القضاء على أبي مسلم الخراساني

[2] - ينظر شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ،دار المعارف بمصر ط8 د. ت ص 14

الذي سولت له نفسه نقل الحكم إلى الفرس ، فكاد له إلى أن قتله ، ولكن المـــوالي أخذوا يدبرون المكائد ، ويحرضون على الثورة ضد العباسيين ، وكان لهذه الأحداث تأثيرها على الشعراء والخطباء ، فعبروا عن ذلك تعبيرا دقيقا .

وقد خاطب نصر بن سيار العرب من نزارية ويمانية ، وحذرهم من هذا الخطر الداهم ، بينما هم منصرفون إلى خلافاتهم في قوله :

فما بالكم تلقحون الحـرب بينكم كأن أهل الحجا عن رأيكم عـزب

وتتركون عـــدوا قـــد أظـــلكم فما تأشب لا ديـــــن ولا حسب

فمن يكف سائلا عن أهل دينهم فـــإن دينهم أن تقتل العـــرب ([3])

غير أن هذه الدولة المترامية الأطراف لم يكن من السهل ولا من العملي أن يدير دواليبها ويراقب سيره ويتابع ازدهارها المذهل هيكل حكم مركزي جامع انطلاقا من قاعدة واحدة . فكان أن قبل الخلفاء العباسيون منذ عهد هارون الرشيد (193هـ) أن تستقل بعض الأطراف البعيدة من مقر الخلافة العربية الإسلامية ، على أن يبقى لها - بصورة من الصور – علاقة بمركز الخلافة (بغداد) كان هذا شأن دولة الأغالبة بتونس ، والدولة الطولونية بمصر ، والدولة الطاهرية بخـراسان ، والدولة السامانية على فـارس وما وراء النهر . غير أن هذه المقاطعات لم تكن معادية للخلافة العباسية في بداية الأمر، ولا ذات عقلية انعزالية عن العـروبة والخلافة، بل كانت عوامل قـــوة وسند لنفوذ الحكم العربي الإسلامي على العالم المعروف آنذاك .

أما في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة ، فإن الأمور أصبحت مختلفة عن ذي قبل ، فقد بدأت عوامل الضعف والانقسام – فظهرت الدولة الإخشيدية بمصر والدولة الحمدانية بالشـــام والدولة السلجوقية بالعراق ... تنخر جسد الدولة العربية الكبرى من الـــداخل ، لأسباب عديدة ومعقدة ، أهمها الأزمات الاقتصادية والاضطرابات الاجتماعية والانحلال الأخلاقي ، وكثرة المؤامرات والانقلابات والثورات ، ومن أهمها :

---

[3] - ابن عبد ربه : العقد الفريد تح/ مفيد محمد قميحة ج2 دار الكتب العلمية بيروت ط1 1983ص 353

ثورة « الزنج » التي شغلت الدولة العباسية ما يقرب من خمس عشرة سنة – كما يذكر المؤرخون مـــن سنة 255هـ إلى سنة 270 هـ – لم تضع الحرب أوزارها طيلة هذه المـــدة ، وسميت كذلك نسبة لهذه الطائفة من الزنوج لأن الدعوة نهضت على أساس نصرة العلويين فهم أصحاب الحـــق في الخـلافة ، وقامت لإنقاذ الزنج من جـور المـلاك الظالمين ، ولأن الخلفاء العباسيين انغمسوا في المـجون والمعاصي ، وأنه يجب محاربتهم حتى يتخلص الناس من شرورهم ، ويرد الحق إلى نصابه .

وغدت الثورة وكأنها ثورة العبيد على السادة الجائرين ، يقول المسعودي في هذا الشأن : « ... واختفى الناس ذعرا في الدور والآبار ، وكانوا يظهرون بالليل فيأخذون الكلاب فيذبحونها ويـــأكلونها ، وكذلك الفئران والسنانير ، وأفنوها حتى لم يقدروا منها على شيء ، وكانوا إذا مات منهم الواحد أكلوه ، وعدموا مع ذلك الماء العذب » ([4])

هذه النكبة المروعة التي حلت بالبصرة يصفها ابن الرومي وصفا دقيقا ، في قصيدة رائعة له يقول فيها :

ذاد عن مقلتي لذيذ المنام شغلها عنه بالدموع السجام

يصور فيها جرائم الزنج وقتلاهم ، وانتهاكاتهم الحرمات وسبيهم الحرائر المصونات ، ممزقات الثياب داميات الوجوه فضلا عن الأرامل واليتامى وغير ذلك من مظاهر البؤس والشقاء .

أما ثورة « القرامطة » وسميت كذلك نسبة إلى رجل نبطي اسمه حمدان ويلقبونه « قرمط » لاحمرار عينيه الدائم ، وكان ذا مكر ودهاء ، فشرع ينظم الحركة السرية للإطاحة بالخلافة العباسية ، وفرض على أتباعه الشراكة في الأموال ، وأحل لهم ترك الفرائض الدينية ، واتخذ بيت المقدس قبلة لهم ، وأباح الخمر وأحدث بدعا كثيرة ، حتى ليقول البغدادي : « إنهم أنكروا البعث والحساب والجنة والنار وقالوا : هل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها ، وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام والحج والجهاد »

---

[4] - المسعودي (أبو الحسن علي) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي ج4 المكتبة العصرية صيدا بيروت ط1 2005 ص 119

وكان يكتب على راياتهم الآية القرآنية : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » .

اقتلع الحجر الأسود مدة 317 هـ إلى غاية 339 هـ وعرى البيت واقتلع بابه .

وهو القائل :

أنـــــــا لله وبالله أنـــا يخلق الخلق وأفنيهم أنا ([5]

واستفحلت الفوضى ، وتطاول قادة الجيش على الخلفاء ، حتى تحولت الخـــلافة إلى منصب تشريفي شكلي فارغ من سلطة أونفوذ ، فتمزقت الإمبراطورية العباسية في النصف الأول من القرن الرابع الهجري إلى دويلات متناحرة في أغلب الأحيان، لم تعد لها علاقة بمركز الخلافة وبالخليفة في بغـــداد إلا صلات ضعيفة ، بل إن بغـــداد نفسها عاصمة الـخلافة العباسية ، تحـولت انطلاقـــا مـــن سنة 334هـ بدايــة الطور الثاني من العصر العباسي ، إلى مقاطعة يحكـــمها البويهيون وهم أســـرة فارسية والسلجوقيون وهم أسرة تركية ،كان لأفرادهما وظائف قيادية في الجيش العباسي . ([6])

الحياة الاجتماعية في العصر العباسي :

لما فتح العرب المسلمون العراق وإيران والشام ومصر والشمال الإفريقي استفادوا من حضارات أممها أيما استفادة ، وأخذوا يشكلون من تراثهم الخالص ومن هذه الحضارات حضارة جديدة ، متشربة بروح الإسلام وتعاليمه ، وكانت نتيجة لهذه الفتوحات أن امتلأت خزائن الدولة

---

[5]- البغدادي (عبد القاهر) : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، عقائد الفرق الإسلامية وآراء كبار أعلامها تح/ لجنة إحياء التراث العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ط5 1982 ص 295

[6]- مبروك المناعي :أبو الطيب المتنبي قلق الشعر ونشيد الدهر دار اليمامة للنشر تونس 1991 ص 11-13

العباسية بالغنائم والخـــراج والفيء ، حتى قيل أن هارون الرشيد خاطب سحابة قائلا : أمطري حيث شئت فإنه سيأتيني خراجك . فتفنن الناس في أساليب العيش والبذخ في الحياة ، وانغمسوا في الأخذ بأسباب الحياة المادية ، وساعد كل ذلك على ظهور الترف والمجون ، وفي مقابل ذلك بروز ظاهرة الزهد والتصوف.

ولا ريب أن البذخ إنما كان يتمتع به الخلفاء وحواشيهم من البيت العباسي ومن الوزراء والقادة ورجال الدولة ، ومن اتصل بهم من الفنانين : شعراء ومغنين ، ومن العلماء والمثقفين ، وفشت ظـاهرة الرقيق والجواري والغناء ، بسبب الأسر وانتشار تجارة الرق ، وكانت منتشرة من قبل في المجتمع مـا قبل الإسـلام وفي فـــارس والـــــروم ، وقد كـــان أكثر الخلفاء مـــن أبناء الجـــواري والإماء فالمنصور أمه حبشية والهـادي والرشيد أمهما (الخيزران)رومية والمأمون أمه (مراجل) فـــــارسية وكذلك أم المعتصم (ماردة)، وكانت (سحر) و (ضياء) و (خنث) يشغفن قلب الرشيد ، وفي ذلك نظم العباس بن أحنف على لسانه :

ملك الثلاث الآنسات عنـــاني وحللن مـــــن قلبي بكل مكان

ما لي تطاوعني البـــــرية كلها وأطيعهن وهـــــن في عصياني

ما ذاك إلا أن سلطان الهوى - وبه عززن – أعز مــن سلطاني

وكأنما كتب على الشعب أن يكدح ليملأ حياة هؤلاء جميعا بأسباب النعيم ، أما هو فعليه أن يتجرع غصص البؤس والشقاء . ولعل هــذا هو السبب الحقيقي في تعلق الناس بالمهدي المنتظر الذي ينشر العدل الاجتماعي في الأرض بعد أن ملئت ظلما وجورا .

حتى تخطيط مدينة بغداد ظهر فيه أثر البذخ والترف والبصمة الفارسية في بناء المدن ، إذ فصل الخليفة عن الرعية ، وجعل له مقاما ساميا ، يصعب الوصول إليه ، كما أن ضخامة القصر تظهر العظمة وهيبة الملك ،وحتى فكرة استدارة المدينة على شاكلة المـدن الفارسية والآشورية القديمة ، بأبوابها المتعددة التي يمكن إغلاقها وحراستها ، ترمز إلى التحكم وتشير إلى والسيطرة المطلقة .

ولم تزل بغداد حاضرة للخلفاء العباسيين حتى عهد المعتصم الذي استكثر في عسكره من الترك حتى آذوا العامة ، فرأى أن يعـــتزل بجنده في موضع ناء عن بغداد فاختار (سامراء)

الواقعـــة بـــين « بغداد » مقر الخلافة ومدينة « تكريت » ، وظل الخلفاء يقيمون بها حتى سنة 276 هـ إذ تحـــولوا منها إلى بغداد ، وكان ذلك سببا في أن أسرع إليها الخراب ، فأصبحت أطلالا ، باستثناء مسجـــدها الذي لا تزال مأذنته الشاهقة قائمة إلى يومنا هذا . ([7])

وقد شهد هذا العصر تيارين متضادين - كل منهما يمضي إلى غايته المحددة – تيار المجون وتيار الزهد ، وقد رصد أدباء هذا العصر كل ذلك بصدق ، بعيدا عن ادعاءات المؤرخين ومبالغة الرواة .

والحقيقة أن المجتمع العباسي ورث الكثير من أدوات اللهو والمجون – ألآلات الموسيقة والغناء - من المجتمع الساساني الفارسي ، ومما ساعد على ذلك منح الحرية المسرفة وإطلاقها ، فإذا الناس يقبلون على المعاصي والآثام ، لا يخافون عذاب الله ولا يأبهون لمراقبة السلطة وعقـــابها ، حتى أن بعض الفقهاء الأحناف في العراق اجتهدوا في تحليل بعض الأنبذة ، كنبيذ التـــمر والزبيب المطبوخ أدنى طبخ ونبيذ العسل والبر والتين ، فشرب الناس هذه الأنبذة وشربها الخلفاء من قبلهم ، وتجـــاوزوا ذلك إلى المسكر المحرم ، وفي ذلك يقول ابن الرومي :

أباح العـــــــراقي النبيذ وشربه وقال حرامان : المدامة والسكرُ

وقال الحجازي الشرابان واحـــد فحل لنا من بـين قولهما الخمرُ

سآخذ مـــــــن قولهما طرفيهما وأشربها لا فـــارق الوازرَ الـوزرُ

ومعنى كلمة « مجون » لغة واصطلاحا ومدى التطابق الموجود بينهما ،

لغة : فمجنت الأرض مجونا ، إذا صلبت وغلظت ، ومنه جاء اشتقاق كلمة « ماجن » لصلابة وجهه وقلة استحيائه ، فلا يبالي بنصيحة ناصح ولا يهتم بلوم لائم . ([8])

---

[7] - عبد العزيز الدوري : العصر العباسي الأول ، دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ط3 1997 ص 97

[8] - إبراهيم أنيس وآخرون : المعجم الوسيط ، دار المعارف بمصر ط2 المجلد 2 1973 ص 855 ابن منظور : لسان العرب مادة « م ، ج ، ن »

واصطلاحا : ارتكاب الأعمال المخلة بالآداب العامة والعرف والتقاليد ، دون تستر أو استحياء ، أو هو جميع الانحرافات النفسية والاجتماعية والبحث عن اللذة أينما كانت وكيفما كانت .

ويبدو أن هذه الحياة الماجنة قد أنتجت أنواعا من الأدب المكشوف الذي كان له تأثير خطير في إشاعة الفاحشة وإباحة المجون في المجتمع الإسلامي ، ساعد على ذلك ظهور الشعوبية والزندقة وغلاة الشيعة والملحدين (الدهريين) الذين أنكروا البعث والحساب ، وجاهروا بالفسق والإثم من مزدكية وزادشتية ومانوية ومجوسية وأتباع الديانات الأخرى يهودية ونصرانية التي كانت تقدم لروادها في (الأديرة والمعابد) الخمور المعتقة ، وتوفر لهم مجالس اللهو والغناء والرقص وما يتبع ذلك . كما كان لتساهل معظم خلفاء بني العباس دور بارز في السماح لهؤلاء المجان أن يجاهروا بتهتكهم وشذوذهم .

هذه الموجة من اللهو والمجون كانت مقصورة على الفئات المترفة ، وعلى الحانات والأديرة التي كان يختلف إليها الناس ، ولم يكونوا يؤلفون إلا جزءا يسيرا من المجتمع ، أما معظم المجتمع المسلم فلم يكن يعرف الترف ولا انغمس في هذه الموجة من الإباحية والفجور ، بسبب ما كان يعانيه من شظف في العيش و مراعاة حدود الله وخشيته ، واحتقار منه لمتاع الدنيا ، إلى جانب ما يؤمله من متاع الآخرة بفضل الوعاظ والعلماء الذين كانوا قريبين من العامة ،وناصحين الخلفاء ومحذرين إياهم من الظلم وعواقبه .

إن حركة الزهد في المجتمع الإسلامي نشأت بدوافع إسلامية محضة ، وتحت ظروف موجودة بالفعل في ذلك المجتمع ، إلا أننا لا نستبعد وجود تأثيرات مختلفة طفيفة أو عميقة في حركة الزهد مسيحية أو بوذية مع حركة التقاء الثقافة العربية بالثقافات الأجنبية المتباينة . ( )[9]

وقد حاول الباحث المستشرق « جولد تسيهر » أن يربط مقدمات نزعة التصوف الإسلامية وبين تعاليم الأفلاطونية الحديثة ، وما يتصل بها من مذهب الفيض ووحدة الوجود ، كما حاول أن يربط بين هذه المقامات وبوذية الهند ، إذ رأى في سيرة «إبراهيم بن أدهم » محاكاة تامة لسيرة « بوذا » في الزهد في التخلي عن الجاه والمال و البعد عن جميع ملذات الحياة .

---

[9] - محمد مصطفى هدارة : مرجع سابق ص 285

وشهد العصر العباسي لونين من الزهد : زهدا إسلاميا خالصا هيأ للتنسك والتصوف ، وزهدا مانويا مارقا ، بعيدا عن تعاليم الإسلام وفطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، و هذا النوع من التصوف البدعي هو الـذي يمكن أن يوصل بينه وبين البوذية ، وقد عرف هذا العصر العديد مـــن الزهاد والمتصوفة أمثال : رابعة العدوية وأبا العتاهية والجنيد والحلاج والبسطامي وغيرهم .

فهو يعد اتجاها جديدا من اتجاهات الشعر العربي يعاكس الاتجاه الماجن اللاهي الذي شاع على أيدي فئة من المتزندقين التي لا ترعى حرمة للدين والأخلاق . ([10])

الحياة الفكرية في العصر العباسي :

ما إن توالت الفتوحات الإسلامية لنشر راية الإسلام والتي أحرزت انتصارات في الشام والعراق وبلاد فارس وشمال إفريقيا والأندلس ، وكانت الدولة العباسية تمتد من حدود الصين وأواسط الهند شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ، ومن المحيط الهندي والسودان جنوبا إلى بلاد الترك والروم شمالا ، وهي أوطان كثيرة كان يعيش فيها منذ القدم شعوب متباينة في الجنس واللغة والثقافة ، انصهرت في الوعاء العـربي حتى غدت كأنها جنس واحد .

وكان وراء هذا المزج الدموي ، بالمصاهرة بين العنصر العربي والعناصر الأجنبية ، مزج روحي عن طريق الولاء الذي شرعه الإسلام ، والذي اتخذ شكل رابطة تشبه رابطة الدم ، ونعم الجميع بما كان يكفل لهم الإسلام من عدل ومساواة ، وحتى الذين لم يسلموا من المجوس والصابئة والنصارى واليهود أخذوا يندمجون مع المحيط العربي الإسلامي ، بفضل ما شرعه الإسـلام مـن حقوق وواجبات اجتماعية وحـرية دينية ، وفتح بينهم أبـواب التعـاون والتكافل الوثيق ، فأسرعوا جميعا إلى تعلم لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

ولم يمض نحو قرن من الزمن حتى انتشرت اللغة العربية ، وأخذت تسود كل أنحاء العالم ، وكان سكان هــذه البيئات يتكلمون لغات مختلفة ، إذ أصبحت شعوبها بنسب متفاوتة عربية اللـغة والفـكر والشعور والثقافة والأدب والحضارة نتيجة ارتباطها القوي بالإسلام ، وحاجة الذين اعتنقوا الإســلام إلى تعلمها وإتقانها لفهم هذا الدين – قرآنا وسنة - . وكان التأثير المتبادل

[10]- محمد خلف الله : دراسات في الأدب الإسلامي ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر د . ط 1947 ص 95

بين اللغة العربية واللغة الفـــارسية دون غيرها مـن لغات الأمم المفتوحة ، طغيان الحضـــارة الفارسية على غيرها من الحضارات .

ولكن البعض ينفي هذا التأثير الفارسي الكبير على اللغة والحضارة العربية « إن هناك مبالغات كثيرة عن الدور الذي لعبه الفرس في الثقافة العباسية ، وهي ناتجة عن محاولات الشعوبيـــين في أثناء خصومتهم الطويلة مع العرب أن ينسبوا كل أنظمة العباسيين وثقافتهم إلى الفرس » فالثقافـــة العربية الإســـلامية أخذت تهضم ثقافات الأمم التي فتحها العرب وانتشر فيها الإسلام ، وأهم هذه الثقافات الفارسية واليونانية والهندية . ([11])

ومما لا ريب فيه أن الإسلام أذكى جذوة المعرفة وحبها في نفوس العرب ، إذ دفعهم دفعا قويا إلى العلم والتعلم (إقرأ ...) فنهض التعليم نهضة واسعـة ، وامتازت مـــدرسة « البصرة » ومـدرسة «الكوفة » في هذا العصر بكثرة روادهما ، فقد كانتا منارتين شامختين في سماء العلم والمـــعرفـــة ، وفي شتى المجالات ، وكانت المساجـــد ساحات كبرى للعلم والتعلم ، فلم تكن بيوتا للعبادة فحسب ، بل كانت معاهد للتعليم في حلقات كـبيرة ، يتحلقون فيها حول أساتذة الفقه والمتكلمين واللغويـــين والنحاة والشعراء ، وكان لتشجيع الخلفاء دور بـارز في هذه الحركة العلمية وازدهارها .

وكان من أهم أسباب بلوغ الحركة العلمية غايتها ، صناعة (الورق) واستخداماته المتعددة ، وحاجة الناس إلى « النسخ » ، وكان « الإملاء » حينئذ أعلى مراتب التعليم ، فكثر الوراقون وتنافس الكثيرون على اقتناء الكتب واتخاذ المكتبات ، وقد أقامت الدولة العباسية منذ عهد الخليفة هارون الرشيد وابنه المأمون مكتبة ضخمة (دار الحكمة) وعنيت فيها بالكتب المترجمة التي تحمل كنوز العلوم والمعارف من الثقافات الأخرى .

وكذلك تحولت مجالس الخلفاء والأمراء وسراة القوم إلى ما يشبه الندوات العلمية ، يتناظر فيها العلماء من كل صنف ، وقد كفلت الحرية الفكرية في هذه المجالس والمجامع إلى أبعد حد ممكن ، بحيث كان كل رأي يعرض للمناقشة العقلية الخالصة ، حتى آراء الزنادقة والملحدين ، فكان يلتقي أصحاب الملل والنحل والأهواء المختلفة في هذه المجالس ، وكانوا يثيرون كثيرا من

---

[11] - عبد العزيز الدوري : المرجع السابق ص 48

المسائل الحساسة والمحرجة ويتحاورون فيها ، كأنما أصبح سلطان العقل فوق سلطان الدين ، وإذا كل شيء يعرض على بساط البحث والجدل .

كما عني خلفاء بني العباس بنقل المعارف اليونانية والفارسية ، من علم الفلك والتنجيم وعلم التشريح والفلسفة والمنطق والرياضيات والطب والحيوان والجغرافيا والهندسة والجبر والكيمياء والموسيقى وغيرها من العلوم والمعارف ، واشتهر حنين بن إسحاق في دقة الترجمة ومحمد بن موسى الخوارزمي في الجبر والفلك ، وجابر بن حيان في الكيمياء ، واستطاع الخليل بن أحمد الفراهيدي - من خلال ما ترجم من كتب الموسيقى ل (إقليدس) وغيره – أن ينفذ منها إلى وضع علم العروض العربي ، حتى يكاد الإنسان يظن أنه لم يبق شيء من هذا التراث العالمي آنذاك لم ينقل إلى اللغة العربية ، وأصبح العقل العربي آنذاك عقلا متفلسفا وعلميا ، لا من حيث فهمه لعلوم هؤلاء وأولئك وحسب ، بل أيضا من حيث إسهامه فيها وإضافاته الجديدة لها .

وبسب ضعف الملكة اللغوية وفشوا اللحن انبرى علماء البصرة والكوفة ، يجمعون ألفاظ اللغة العربية وأشعارها حتى تسلم لها مقوماتها الأصلية ، واشتهر منهم في البصرة أبو نصر الفارابي وأبو عمرو بن العلاء ثم خلف الأحمر والأصمعي « الأصمعيات » ومحمد بن سلام الجمحي والخليل بن أحمد الفراهيدي « العين » وتلميذه سيبويه « الكتاب » ، واشتهر في الكوفة حماد الراوية والمفضل الضبي « المفضليات » وأبو عمرو الشيباني ، واستقل الكوفيون عن البصريين بمذهب نحوي خاص بهم يعنى ب « السماع » ، بدل « القياس » الذي اعتمده البصريون ، وكان من أهم النحاة الكوفيين في هذا العصر الفراء وأستاذه الكسائي ،

ومما عني به النحاة واللغويون أيضا أنساب العرب وأخبارهم التي تؤديها أشعارهم ، وهي عناية اقترنت بنمو الكتابة التاريخية ، وهو نمو ارتبط بالسيرة النبوية الشريفة ، إلى جانب تاريخ الأمم والمدن المجاورة للجزيرة العربية ، وخاصة الفرس وتاريخ الرسل وتاريخ العرب ، نذكر منهم محمد بن إسحاق وعبد الملك بن هشام الأنصاري ومحمد بن عمر الواقدي في « السيرة النبوية » ومحمد بن سعد « الطبقات الكبرى » وهشام بن محمد الكلبي كتاب « الأصنام » وابن النديم في « الفهرست » وياقوت الحموي « معجم البلدان » ...

و أما في النقد نجد كتاب « طبقات فحول الشعراء » لابن سلام الجمحي وهو خير من يصور عمل البيئة المحافظة ، والجاحظ وكتبه : البيان والتبيين – والحيوان – والبخلاء - والرسائل ، وابن قتيبة وكتابه « الشعر والشعراء » وقدامة بن جعفر في كتابه « نقد الشعر » .

أما في العلوم الدينية وعلم الكلام والاعتزال ، حيث نشأت العلوم الدينية في ظلال الحديث النبوي الشريف فنجد التشريع والفقه والتفسير ، واشتهر في هذا الباب – باب الفقه - سفيان الثوري بالكوفة وعبد الرحمن الأوزاعي بالشام ومالك بن أنس بالمدينة المنورة وعبد الله بن المبارك بخراسان ووكيع بن الجراح بالكوفة ، وتم تخليص الحديث النبوي من الفقه على يد أحمد بن حنبل ثم الصحاح وفي مقدمتها صحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم ، وأدى ذلك إلى نشوء علم قائم بذاته سمي ب « علم الرجال » أو علم التعديل والتجريح .

وتعددت تفاسير القرآن الكريم نذكر منها تفسير الطبري ، وأخذ الشيعة يستقلون بتفاسير للقرآن خاصة بهم ، كما نشط المعتزلة بتأويلاتهم المتنوعة كما هو الحال مع « الكشاف » للإمام الزمخشري ، والتفسير الصوفي ونجده في « لطائف الإشارات » للقشيري ، و علوم القرآن الكريم كثيرة : علم نقطه وشكله ، وعلم الوقف والابتداء في آياته ، وعلم غريبه ولغاته ، وعلم معانيه وقراءاته ، وعلم ناسخه ومنسوخه ، مكيه ومدنيه ، وأحكامه ، محكمه ومتشابهه (التفسير بالأثر والتفسير بالرأي) .

وظهر «علم الكلام » والذي يراد به الجدل الديني في الأصول العقيدية أساسا ، ثم صار يتناول مختلف القضايا المتعلقة بالإسلام والمسلمين ، لا عند المسلمين وحدهم ، بل عند جميع الملل والنحل ، فظهرت فرق عدة أشهرها « المعتزلة » و « المرجئة » و « الأشاعرة » و « الجبرية » و « الظاهرية »و «الباطنية » وغيرها،

كما ازدهر الشعر في العصر العباسي بطوريه ، وكان للشعراء ملكات لغوية غاية في الأهمية ، وفي ذلك يقول الجاحظ : « لم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إغراب ، ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج » . ([12])

[12] - الجاحظ (عمرو بن بحر) : البيان والتبيين تح / عبد السلام هارون ج4 مكتبة الخانجي بالقاهرة ط7 1998ص 24

وكان من أهم ما حفز اللغويين والنحاة إلى ذلك القرآن الكريم والحديث النبوي ، حتى لا تستغلق دلالتهما على فهوم الناس وفهوم العلماء أنفسهم ، وبذلك أصبح اللغويون سدنة الشعر في هذا العصر وحراسه ، فقد كان الشعراء يعرضون أشعارهم على اللغويين ليجيزوها لهم ، فهم قضاة الشعر وصيارفته ، وكان ابن الأعرابي يقول : « إنما أشعار المحدثين – مثل أبي نواس وغيره – مثل الريحان يشم يوما ويذوى فيرمى به ، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا » .

ولا شك أن إهدار اللغويين لشعر العباسيين بسبب حداثته ، خطأ في التقويم ، إذ الجودة الفنية لا تقاس بالقدم والحداثة ، فالشعر الجيد جيد في كل زمان ومكان ، يقول الجاحظ في أبي نواس : « ما رأيت أحدا أعلم باللغة من أبي نواس ، ولا أفصح لهجة مع حلاوة ومجانبة لاستكراه »

يقول أبو عمرو الشيباني العالم اللغوي المشهور : « لولا ما أخذ فيه أبو نواس من الرفث لاحتججنا بشعره ، لأنه محكم القول » ودفع التحضر الشعراء في العصر العباسي الأول إلى أسلوب وسط بين الغرابة والابتذال ، وبشار في طليعة من أرسوا هذا الأسلوب المولد الجديد ، وفيه يقول ابن المعتز : « كان شعره أنقى من الراحة ، وأصفى من الزجاجة وأسلس على اللسان من الماء العذب » ([13])

وتوزع الشعراء بين من يؤثرون الجزالة والفخامة وقوة البناء والرصانة مثل مسلم بن الوليد ، ومن يؤثرون الليونة والسهولة مثل أبي العتاهية .

[13] - نقلا عن شوقي ضيف : المرجع السابق ص 148- 150

النزعة التجديدية وأثرها في الشعر العباسي

ديد لغة هو استحداث الشيء أو تصييره جديد ، وهذا لا يكون إلا عن طريق حركة أي هو ابتداع شيء غير مألوف أو الوصول إلى شيء لم يسبق الاهتداء إليه .([1])

جديد في مفهومه هو تحول عن المسار المعروف والتقاليد المتداولة ، والمرتبة بشكل رائق التعبير وأدواته ، في هيكله البنائي أو في مضمونه الفكري فقد « تطورت فيه في شكلها ومضمونها ، واستطاعت بتحررها من كثير من قيود الصياغة القديمة أن الوزن الشعري والقافية ... كما استطاعت اللغة فيها أن تحلق في عوالم من الفكر هد ، ومع هذا لم تنخل عن الصول القديمة كلية ، وإنما عدلتها وصيرتها أكثر ملاءمة ([2])

تجديد في الشعر هو أن يتم تجاوز لقواعد شعرية قديمة ، وخلق قواعد أخرى ، أسس جديدة ، تتسم في الغالب بالابتكار في النسق والصورة والمفردة والشكل ، أي بمـــا يتماشى مع أصول الذائقة وخصوصية العصر ، ولا يخل بقوانين الشعر ، يسعى إلى تحقيق المتعة والدهشة لدى المتلقي .ومعنى ذلك أن التجديد هو تغيير في م ، ومن معانيه أيضا هـــو وصل ما انقطع من المعهود وإعادته إلى حالة الفاعلية ، على مرور الزمن .

- ورد في باب القدماء والمحدثين في كتاب (العمدة) لابن رشيق القيرواني قوله : « من الشعراء ، فهو محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله ... قال صاحب الكتاب ، لآراء النقاد في عصره : « وأن أرجو أن أكون ، باختيار هذا الفصل وإثباته ههنا ، جملة المميزين ، إن شاء الله ، فليس من أتى بلفظ محصور ، يعرفه طائفة من

لمعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى وآخرون ج2 ص 109 ولسان العرب : ابن منظور مجلد 3 د)

شماوي : أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية ، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر كندرية د. ط 2000 ص 136

الناس دون طائفة ، لا يخرج من بلده ولا يتصرف من مكانه ، كالذي لفظه سائر في كل أرض ، معروف بكل مكان ، وليس التوليد والرقة أن يكون الكلام رقيقا سفسافا ، ولا بارد غثا ، كما ليست الجزالة والفصاحة أن يكون الكلام حوشيا خشنا ولا أعرابيا جافيا ، ولكن حال بين حالين .

فلم يتقدم امرؤ القيس والنابغة والأعشى إلا بحلاوة الكلام وطلاوته ، مع البعد من السخف والركاكة ، على أنهم لو أغربوا لكان ذلك محمولا عنهم ، إذ هو طبع من طباعهم ، فالمولد المحدث على هـذا ، إذا صح ، كان لصاحبه الفضل بحسـن الاتباع ومعـرفة الصواب ، مع أنه أرق حوْكا وأحسن ديباجة .

فكل قديم كان في زمانه محدثا ، وكل محدث سيصير بعد قليل من الزمن قديما ، فقضية القدم والحداثة قضية نسبية ، وإنما العبرة في الإجادة ، فلم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص قوما دون قوم ، بل جعل الله ذلك مشتركا مقسوما بين عـبـاده ، في كل دهر ، وإنما السبق والشرف معا في دقة المعنى وجودة اللفظ ، بحسب ما يراه ابن قتيبة. ([3])

وقد استطاع شعراء القرنين الثاني والثالث الهجريين أن يمثلوا وجودا ضاغطا على الحركة النقدية ، مما أدى إلى فشل جهود النقاد آنذاك في القضاء على الشعر المحدث ووأده في المهد ، واضطروا في الأخـير إلى قبول هذا النوع من الشعر و الإقبال على دراسته .

وشن دعاة التجديد ثورة على تقاليد القصيدة العربية وقيودها ، وسعوا إلى تجاوز ضوابطها الفنية والموضوعية ، وعلى ما قرره علماء اللغة والنحو والاستعمال الشعـري القديم ، وظهرت الخصومة بين القدماء والمحدثين ، وصارت ظاهرة نقدية جديرة بالنظر والعناية . ([4])

---

[3]- ابن رشيق القيرواني : العمدة في صناعة الشعر ونقده ج1 مكتبة الخانجي بالقاهرة د د . ط 1907ص 57-56

[4] - ينظر أحلام الزعيم : قراءات في الأدب العباسي ، الحركة الشعرية ، جامعة 1997 ص 77دمشق ط1

واختصم النقاد فيما بينهم ، بين متعصب للقديم باعتباره تراث الأمة وديوانها ، وبين منتصر للجديد ومستحسن له ، وكان للشعراء (المولدين) دور كبير في إحداث هذا التطور ، باعتبارهم ينتمون إلى أصول غير عربية ، ولا يمتون إلى التقاليد العربية بوشائج قوية كأبي نواس وبشار بن برد . ([5])

ولا نغالي إن قلنا أن هؤلاء المحدثين تفوقوا على نظرائهم من الشعراء المقلدين للشعراء في الجاهلية ولشعراء العهد الإسلامي في كثير من الأغراض ، وإذا كان للقدماء أصالة في ابتداع المعاني ، فإن للمحدثين جهودا لا ينبغي إنكارها ، من ذلك قول بشار:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا

قالوا بمن يا ترى تهذي فقلت لهم الأذن كالعين توفي القلب ما كانا

أما ثورة أبي نواس فكانت استجابة لتلك الظروف التي سادت في العصر العباسي « فصحيح أننا نعيش أمام القصيدة كفن شعري ، له مقوماته الجمالية ، ولكن هذه الوقفة لا تحول دون النظر في القصيدة كتجربة شخصية ، ترتبط في كثير من جوانبها بالمجتمع وظروفه الحضارية ولا يمكن أن تصدر من فراغ » لذلك نادى أبو نواس بتجاوز (المقدمة الطللية) واستبدلها ب (المقدمة الخمرية) ([6])

إن تجديد الشعراء في الشعر العربي إبان حكم العباسيين لم يكن وليد الصدفة ، وإنما كان بفعل عدة ظروف وأسباب ، فالشاعر اتخذ من التجديد في الشعر وسيلة للنيل من تاريخ أمة يعيش في كنفها ، وهو شديد الحقد عليها شديد البغض لأهلها ومعتقدها ، ويبدو أن ذلك الفريق من الشعراء لم يصدق في فنه ، ربما لأنه انطلق من دوافع سياسية يحكمها انتماؤه إلى الجنس غير العربي .

وقد تجلى هذا بوضوح عند الشعراء (الشعوبيين) فنفوس هؤلاء مليئة بالضغينة والحقد على هذا الدين وعلى هذه الأمة (جعلهم ينفثون سمومهم في كل ما يتعلق بقضايا

---

[5]- فوزي عيسى وفوزي أمين : في الأدب العباسي ، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية مصر ، د . ط 2004 ص 209

[6]- عبد الله التطاوي : القصيدة العباسية قضايا واتجاهات مكتبة غريب ط1 1982 ص 32

العروبة وقيم الإسلام على السواء ، تحت عباءة الشعوبية والزندقة أو ما ظهر على غرارهما من تيارات العداء الصريح لحس العروبة وقيم الحضارة الإسلامية بوجه عام . ([7])

ومن ذلك قول أبي نواس :

عـــاج الشقي على رســـم يسائله وعجت أسأل عن خمـارة البلد

يبكي على طلل الماضين من أســـد لا در درك قل لي من بنو أسد ؟

ومن تميـــم ومن قيـــس ولفهما ليس الأعاريب عند الله من أحد

لا جف دمع الذي يبكي على حجر ولا صفا قلب من يصبو إلى وتـد

أضف إلى ذلك أن الشعر (المحدث) نشأ متماشيا مع طبيعة الحياة الإنسانية وسنن التطور الاجتماعي والأدبي ، وما يستتبع ذلك من رغبة في التغيير ، والجري وراء كل جديد وطريف ، دفعا للملل من القديم الذي لاكته الألسنة كثيرا ومجته الأسماع والآذان . ([8])

ومن دوافع التجديد كذلك نضج الأفق النقدي واتساعه ، لتقبل الحقائق الأدبية الجديدة تقبلا موضوعيا ، إذن التجديد عند هؤلاء كان استجابة طبيعية لتلك الظروف التي عاش الشاعر في رحابها ، فالشاعر المحدث المجدد شاء أن يكون ابن بيئته وعصره ، وأن يصدق التعبير عن تجربته الذاتية . ([9])

كان تأثير الثقافة الفارسية في الشعر أشد وأقوى من تأثير الثقافة الهندية ، نجد هذا واضحا عند بشار بن برد والحسن بن هانئ (أبي نواس) وعبد الله بن المقفع ، ولا ريب في أن

---

[7]- عبد الله التطاوي : أشكال الصراع في القصيدة العربية في العصر العباسي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ط1 2003-2004 ص 45

[8]- ينظر عثمان موافي : الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم ، تاريخها وقضاياها ، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ط3 2000 ص 123

[9]- عز الدين إسماعيل : في الشعر العباسي الرؤية والفن ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، ط1 1994 ص 305

الثقافة اليونانية كان تأثيرها في الشعر والشعراء أعمق وأكثر غورا ، بما فتحت أمامهم من أبواب الفكر الفلسفي وأبـــواب المنطق ومقاييسه وأدلته ، وما بعثت فيهم من محاولة استكشاف دقائق المعاني واستخراج دقائقها .

مضى بشار في أشعاره يعارض (واصلا بن عطاء) في المشكلة الإنسانية الكبرى – الإنسان مخير أم مسير – مصرا على أن الإنسان مسير في رحلته الدنيوية بقضاء يخط له غده ومستقبله وفي ذلك يقول :

طبعت على ما في غـــــيرَ مخيـــرٍ هواي ولو خُـــيِّرتُ كنت المهذبا

أريـــــد فـــلا أعطى وأعطى ولم أرد ويَقْصُرُ علمي أن أنـــــال المغيّبا

فأصرف عن قصدي وعلمي مقصِّر وأممي وما أُعقِبتُ إلا التعجُّبا

وأخذ بشار بالمعنى المبتكر والصورة البديعة ، وأنه يستطيع أن يؤدي المعنى القديم في معارض جديدة شديدة الروعة من ذلك قوله :

خليلي ما بال الدجى ليس يبرح وما بال ضوء الصبح لا يتوضح

أضل الصباح المستنـــير طريقه أم الدهـرُ ليلٌ كله ليس يبرح ؟

وهو معنى طول الليل الذي وقف عنده امرؤ القيس في معلقته التي يقول فيها :

فيا لك من ليل كـــأن نجومه بكلّ مُغار الفتل شُـــدَّتْ بيذبل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجل بصبح وما الإصباح منك بأمثل

وكان أبو نواس يصدر عن فكرة (المرجئة) في حواره ل(النظام) شيخ المعتزلة بمثل قوله في إحدى خمرياته :

فقل لمـــن يدعي في العلم فلسفة حفظت شيئا وغابت عنك أشياء

لا تحظِّر العفو إن كنت امرءا حرجا فـــإن حظركه بالديـــن إزراء

واعتمد أبو تمام الطائي في أشعاره على (التضاد) الذي يقف عنده المناطقة في استدلالاتهم ، واستخرج منه ما لا يحصى من المعاني والصور الجديدة ، كقوله يصور جمال إحدى صواحبه :

بيضاء تسري في الظـلام فيكتسي نـــورا وتسرب في الضياء فيظلم

فقد جعلها تكسف نور الشمس بهائها ،حتى ليصبح ضياء النهار مظلما لشدة نورها ، وهو تضاد بديع ، فالضياء يُظلِم ، فأشاع المعاني النادرة والأخيلة المبتكرة .

التجديد في الموضوعات القديمة :

مضى الشعراء في مدح الخلفاء والولاة يضيفون إلى مثالية الفضائل من شجاعة وكرم ومروءة ومثالية الحكم ، وما ينبغي أن يقوم عليه من الأخذ بدستور الشريعة وتقوى الله والعـــدالة التي لا تصلح حياة الأمة بدونها ، وبذلك كانوا صوتا قويا لها ، وقـــد يكون الخليفة سيئ السلوك ، ولكنهم يمدحونه بنفس هذه المثالية الكريمة للخلفاء لعله يتوب إلى طريق الرشاد ، ولم تعـــــد قصائدهم مديحا فحسب ، بل أصبحت أيضا تاريخا ، تاريخ أبطالنا وأمجادهم الحربية .

وتحول الشاعر العباسي في أحيان كثيرة من وصف الأطلال والصحراء ومسالكها وحيوانها ، إلى وصف الرياض ومناظرها البهيجة ووصف السفن ورحلتها في الأنهار والبحار ، صورة مقابلة لرحلة الناقة في الصحراء ، مثل قول بشار في إحدى مدائحه للمهدي :

وعذراء لا تجـــري بلحم ولا دم قليلة شكوى الأينِ ملجمةِ الدُّبْر

إذا ظعنت فيها الفلول تشخصت بفرسانها لا في وعوث ولا وعَـر

تلاعب تيارَ البحـــــور وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجري

يُخيَّل إلى القارئ أن الشعراء في غرض الهجاء لم يتركوا مثلبة خلقية أو نفسية في شخص إلا صوّروها ، وكأنما يريدون أن يطهروا المجتمع منها ، ولم يتورعوا أحيانا عن هجاء الخلـــفاء والوزراء كلما رأوهم ينحرفون عن الجادة ، وإذا كان المدح يرسم المثالية الخلقية

للتربية ، فالهجاء يرسم المساوئ الفردية والاجتماعية التي ينبغي أن يتخلص منها المجتمع الفاضل . يقول ابن الرومي :

يقتر عيسى على نفسه وليس بباق ولا خـــالد

فلو يستطيع لتقتـــيره تنفس من منخر واحـــد

وظلت للفخر حيويته القديمة وخاصة بين العرب والفرس ، ونشط الشعراء في الرثاء نشاطا واسعا ، وكان يفيض بالحزن واللوعة مصحوبا بالحماسة والتمجيد وإذكاء الحمية في نفوس الناس ، وحثهم على الشجاعة والاستشهاد ، وتنوع إلى رثاء الأصدقاء والأحبة والأبناء والزوجات ورثاء المدن حين تنزل بها كوارث النهب والحرق ...

وأكثر الشعراء في هذا العصر من الشكوى و العتاب والاعتذار ، متخذين لهما مسالك دقيقة ، تدل أوضح الدلالة على رهافة الحس وخصب الذهن . يقول ابن المعـــتز رغم الترف والدعة التي كان ينعم فيها :

لم يبق في العيش غير البؤس والنكد فاهرب إلى المـوت مـــن هم ونكد

ملأت يا دهر عيني مـــن مكارهـها يا دهر حسبك قد أسرفت فاقصد ([10])

ولعل الشاعر العباسي لم يعن بموضوع قديم كما عني بالغزل وتصوير عاطفة الحب الإنسانية ، ومن المحقق أن هؤلاء الجواري والقيان هن اللاتي دفعن المجتمع العباسي في بعض جوانبه إلى الفساد الخلقي ، إذ كن يعشن في بيوت (النِّخاسة) وكانت دورا كبيـــرة للعبث واللهو ، وأن يفتح ذلك كله الأبواب واسعة للغزل الإباحي والماجن ، وبلغ من حدته أن شاع الغزل الشاذ بالغلمان . ولعل أروع تصوير لابن الرومي وصفه لمغنية (وحيد) وكانت فتنة صوتا وحسنا والتي يقول فيها :

تتغنى كأنها لا تغـــــــني من سكون الأوصال وهي تجيدُ

لا تراها هناك تجحظ عـين لك منها ولا يـــــدر وريـــــدُ

من هدو وليس فيه انقطاع وسُجُوّ ومـــــا به تبليـــــدُ

---

[10] - شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ، دار المعارف بمصر ط8 ، د.ت ص 176

مد في شأوِ صوتها نفسٌ كا في كأنفاس عاشقيها مديـــدُ

وكان إلى جانبه غزل عفيف طاهر وخاصة عند شعراء (نجد) العذريين . يقول ابن المعتز الخليفة الشاعر وكان مرهف الحس رقيق الذوق دقيق المشاعر:

بودي لو يهوى العَذول ويعشق فيعلم أسباب الهوى كيف تَعْلَقُ ؟

فلو فهم الناس التلاقي وحسنَه لحُبِّبَ من أجـل التلاقي التفـرق

كما انتشر في هذا العصر شعر الزهد ، وكان أكثر اتصالا بحياة المجتمع ، يصور زهد الناسكين وانصرافهم عن متاع الدنيا الزائل ، والإقبال على الآخرة بالتقوى والتوكل على الله والعمل الصالح .

وها هو أبو العتاهية في أشعاره الزهدية ، يصرخ من أعماق قلبه قائلا :

إلهي لا تعذبـــــني فإني مقر بالـــــذي كـان مـــــني

وما لي حيلة إلا رجـــائي لعفوك – إن عفوت – وحسن ظني

الموضوعات الجديدة :

نرى شعراء كثيرين يعنون بوصف مظاهر الحضارة العباسية المادية ، وما يتصل بها من الترف في الطعام والتأنق في الملابس ووصف القصور وما حولها من البساتين ، يقول الشاعر أبو يعقوب الخريمي الذي يصور أحاسيسه بعد أن أصبح ضريرا متفجعا على عينيه :

أصغي إلى قائدي ليخـــبرني إذا التقينا عمّـن يحيّـــيني

أريد أن أعدل الســـلام وأن أفصل بين الشريف والـدونِ

أسمع ما لا أرى فأكـــره أن أخطئ والسمع غيـر مـأمون

لله عيني الـــتي فجعت بها لو أن دهـرا بها يـــواتيني

لو كنت خُيِّرتُ مـا أخذت بها تعميرَ نـوح في ملك قـارون

ونظم شعراء العصر العباسي في الطرديات وفي النوادر والفكاهة والحيوان والحماسة وغيرها من الأغراض ، واستحدث الشعراء العباسيون فنا لم تكن له أصـــول قديمة ، ونقصد به الشعر التعليمي ، الذي دفع إليه رقي الحضارة في العصر العباسي فنظموا في القصص وفي المعارف والسير والأخبار والتاريخ والدين والعلوم ...

التجديد في الأوزان والقوافي :

لقد مضى شعراء الغزل يعدلون غالبا عن النظم في الأوزان الطويلة المعقدة ، إلى النظم في الأوزان الخفيفة والمجزوءة البسيطة ، وأكثروا من الزحافات ، واتسعت الملاءمات الموسيقية العروضية مع الغناء ، وظهرت أوزان المضارع والمقتضب والمتدارك ، والأوزان المهملة التي يمكن أن تستنبط من دوائر الخليل التي هي عبارة عن أسباب وأوتاد .

وعلى نحو ما جدد الشعراء في الأوزان جددوا في القوافي ، مستحدثين ما سموه باسم (المزدوج) و (المسمطات) . أما المزدوج فالقافية فيه لا تطرد في الأبيات ، بل تختلف من بيت إلى بيت ، بينما تتحد في الشطرين المتقابلين ، وعادة تنظم من بحر الرجز ، ونرى الفرس حين يعودون إلى لغتهم ويحدثون نهضتهم الأدبية ، يستخدمون هذا الضرب من الشعر في قصصهم متخذين له اسما جديدا هـــو (المثنوي) ، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إنه هو الذي رشح لظهور (الرباعيات) في الأدبين العـربي والفارسي ، وهي تتألف من أربعة أشطر ، يتفق أولها وثانيها ورابعها في قافية واحدة ، أما الشطر الثالث فقد يتخذ نفس القافية وقد لا يتخذها ، كما هو الحال مع مداعبة بشار بن برد لخادمته :

ربـابة ربـة البيت تصب الخل في الزيت

لها أربـع دجاجات وديك حسن الصوت

ومن نظموا في المزدوج الشاعر العباسي أبو العتاهية ، الذي له مزدوجة طويلة بعنوان : (ذات الحكم والأمثال) وهي من بحر الرجز قوله :

حسبك مما تبتغيه القوت ما أكثر القـوت لمن يموت

الفقر فيما جـاوز الكفاف مـن اتقى الله رجا وخافا

أما المسمطات فهي قصائد تتألف من أدوار ، تعتمد على قطب واحد يسمى عمود المسمط وكل دور يتركب من أربعة أشطر أو أكثر ، تتفق أشطر كل دور في قافية واحدة ، ما عدا الشطر الأخير فإنه يستقل بقافية مغايرة ، تشابه قافية العمود التي بدأ بها الشاعر كقول أبي نواس :

ســـلاف دنّ كشمس دجْنِ

كدمع جفـْنِ كخمر عـــدنِ

فاحت بريـح كريـح شيـح

يـــوم صبوح وغيم دجـــن

وإنما سمي مسمطا من السمط وهي قلادة تنظم فيها عدة سلوك ، تجتمع عند لؤلؤة أو جوهرة كبيرة .

ولعل أبرز حركة تجديدة ظهرت في العصر العباسي هي ما سميت بمذهب (الصنعة أو البديع) ، ذلك أن ذوق الزخرفة والتنميق يكاد يعم في كثير من جوانب الحياة العباسية ، في القصور وفن العمارة وفي المساجد ، كما كان يشيع في التصوير ، ولم يكن الشعراء يعيشون بعيدا عن هذا الجو ، من الزينة ، فقد نال كثير منهم من الأعطيات ، ما جعلهم يعيشون في ترف ونعيم بالغ ، بل جعلهم يحققون كل ما يريدون من تصنيع وتنميق في حياتهم .

فلا عجب أن ينتقل ذلك التأثير إلى الشعراء ، وأن ينمو مع الزمن ، حتى تصبح القصيدة كأنها واجهة مسجد أو قصر في الزخرفة البديعة ، ويرى ابن المعتز أن البديع بمعناه الاصطلاحي « المحدث » والذي كثر عند بشار ومسلم بـــن الوليد وأبي نـــواس وأبي تمام ، وإن كان هذا الأخير قد أكثر منه وجعله مذهبا له في نظمه ، وبلغ به الغاية بعد مسلم بن الوليد . ([11])

---

[11] - ينظر شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، دار المعارف بمصر ط11 ص 173 - 178

ومضى الشعراء في القرن الثالث الهجري يقفون في صفين متقابلين : منهم من يفهم الشعر على أنه صناعة وزخرفة مثل أبي تمام وابن المعتز وأبي نواس وأبي العتـــاهية ، ومنهم من لا يبعد في فهمه كل هذا البعد مثل البحتري وابن الرومي ومسلم بن الوليد ، فالصنف الأول هم أصحاب روية لا يرتجلون ولا يقولون الشعر عفوا بلا تعب ، فالشعر عندهم صنـاعة مجهدة ، لا بد فيها من التريث والتمهل ، ولا بد فيها من الصقل والتجويد . يقول مسلم بن الوليد في مدح أحد الأمـــراء العباسيين ، مستهلا قصيدته بالغزل :

أجررت حبل خليع في الصبا غـزِل وشمرتْ هِممُ العذال في العـــذلِ

هاج البكاءَ على العين الطموح هوى مفـــرّقٌ بيـــن توديـــع ومحتملِ

كيف الســـلـوُّ لقلب راح مختـــبَلا بهذي بصاحب قلب غيـر مختبل

والجهد واضح في هذه الأبيات ، سواء من حيث اختيار الألفاظ أو من حيث زخارف الجناس والطباق ، فهو يجانس بين العذال والعذل ويطابق بين المختبل وغير المختبل .

أما أبو تمام فهو أهم شاعر يمثل مذهب الصناعة ، وكان استخدامه له واسعا ، فقد وعى وعيا دقيقا صورة الشعر العربي القديم ، يجمع خطوطها وألوانها ، وحين تقرأ أشعاره تحس بمتانتها ورصانتها ، لكنك مع ذلك تلمس تنميقا وزخرفة لفظية ومعنوية ، يروعك ظاهره ويدهشك باطنه ، لما يودعه فيه من خفايا المعاني وزخارف اللفظ .

إن من يقرأ شعر أبي تمام يحس إحساسا واضحا بأن الشاعر كان يشقى في بنائه واستنباط معانيه ، حتى وصف البعض أشعاره بالتعقيد والغرابة ، ولعله كان يطلب الإغراب في فنه حتى يسبغ على شعـره كل ما يمكن من آيات الفتنة والروعة ، وقد عاش لشعره يوشيه ويرصعه ، وبهذا يصور شعره بقوله :

خذها مثقفة القـــوافي ربُّها نوابـغ النعماء غـــير كنود

حذّاءَ تملأ كـــل أذن حكمةً وبلاغـــةً وتدرنكل وريـــد

كالدرر والمرجـان أُلِّفَ نظمُه بالشذر في عنق الفتاة الرُّود

كشقيقة البرد المنمنم والتيه في أرض مهرةَ أو بلاد تـزيد

وهناك جانب آخر في شعر أبي تمام يكسبه جمالا وروعة ، لا يقف عند حدود البديع القديمة من الصناعة التي يبتهج بها الحس ، بل نراه ينفذ إلى أنواع جديدة يبتهج بها العقل ، وهي ألوان قائمة كانت تتسرب إليه من الفلسفة والثقافة العميقة . فالطباق والجناس والتصوير والمشاكلة ، كل ذلك يـــزدوج بالفلسفة وألوان الثقافة القائمة فيجلله الغموض في كثير من جوانبه وأجزائه . ([12])

ووقف بعض الدارسين طويلا عند هذا الجانب من الغموض الفني عند أبي تمام ، وتحدثوا عما فيه من صعوبة والتواء ، ولم يتحدثوا عما فيه من إبداع وجمال . يقول الآمـــدي : « إنه ينسب إلى غموض المعاني ودقتها وكثرة ما يورده مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج » وهذا الغموض أكسبه عمقا وبعدا في الفكر والخيال ، كما أكسبه دقة في التفكير وعمقا في التصوير . ([13])

---

[12] - شوقي ضيف : المرجع السابق ص 239

[13] - الآمدي (الحسن بن بشر) : الموازنة بين أبي تمام والبحتري دار الكتب العلمية بيروت ط1 2006 ص 2

أبو نواس النفس الحائرة

أبو نواس الحسن بن هانئ هو أهم شاعر يصور الفساد الخلقي من جميع نواحيه ، والذي كان يسري بين نفر من الشعراء الذين كانوا يختلفون إلى دور النِّخاسة وحانات المجون وبيوت اللهو والعبث ، فإن تركوها فإلى دورهم التي حولوها إلى مقاصف للخمر والغناء ، يتطارحون فيها أشعارهم المعبرة عن غرائزهم ، وكل ما اقترن بها من شذوذ التغزل بالغلمان .

كان أبوه مولى فارسيا ، ولد سنة 139هـ ، قامت أمه على تربيته فدفعته إلى الكتاب ، فحفظ القرآن وأطرافا من الشعر ، وتفتحت موهبته ، وكان مليحا صبيحا ، وشب الغلام فأخذ يختلف إلى حلقات المسجد الجامع ، يتزود من الدراسات اللغوية والدينية ، ومن الشعر القديم ومعانيه ، وأخذ يعب من الخمر مع والبة بن الحباب أحد مجان الكوفة ومطيع بن إياس وحماد عجرد ، كي ينسى أمه التي كانت تؤذيه بسيرتها في البصرة ، فكان كالمستجير من الرمضاء بالنار .

وكأنما كتب القدر عليه أن يصبح ضريبة الفسق والمجون لعصره ، ولكنه كان إلى جانب ذلك يتزود من ينابيع المعرفة من شعر ولغة ، بل طلب الفقه والتفسير والحديث ، فكان عالما فقيها عارفا بالأحكام والفتيا ، بصيرا بالاختلاف ، صاحب حفظ ونظر ومعرفة بطرق الحديث ، يعرف ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه كما يذكر ابن المعترض . وطلب أيضا علم الكلام عند النظام وغيره من المتكلمين ، واستظهر ذلك في شعره .

وعلى الرغم من ظرفه لم يكن قريبا من نفس المرأة التي عاصرته ، فقد كانت تزدري فيه غلامياته وسيرته الشاذة ، وكانت له أخبار مع الجارية جنان ، وما ناله من الخليفة هارون الرشيد من عطاء كان يبذره فيما لذ له من إثم وفجور ، فحبسه الرشيد مرارا لعله يزدجر ، ولكنه سرعان ما يعود إلى سيرته الأولى ، وربما كان للبرامكة دور في عفو الرشيد المتكرر ، ونراه يحزن عليهم حين نكبهم الرشيد سنة 187 هـ .

مدح الخصيب بن عبد الحميد والي الخراج بالفسطاط بمصر وفيه يقول :

أنت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحـــــر

النيل ليغش مـــاؤه مصرا ونداك ينعش أهله الغمر

وهو القائل في الخمر وارتكاب المآثم وهتك المحارم :

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمـــر ولا تسقني سرا إذا أمكـن الجهر

وبح باسم من تهوى ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر

عاش للخمر يتغنى بها مجاهرا بالفسوق والمجون في بيوت القيان وفي الحانات ، يقول في ذلك :

عـــاج الشقي على رسم يسائله وعجت أسأل عن خمارة البلد

يبكي على طلل الماضين من أسد لا در درك قل لي من بنو أسد ؟

وكانت له صحوات يفيق فيها فقيل أنه تنسك وحج البيت الحرام عام 190 هـ ثم يرجع إلى خطاياه ، توفي بعد المائتين بقليل ، واختلف الرواة في سبب وفاته .

فهو مضطرب تارة يعلن دهريته وأنه لا يؤمن ببعث ولا نشور ، وتارة يعلن أنه مؤمن عاص ، وأنه على الرغم من جهره بمعاصيه وفسقه ، يعتمد على عفو الله ومغفرته ، معتمدا على فكرة العفو التي قال بها المرجئة .

على أنه ينبغي أن نلاحظ أنه وضع عليه كثير من الشعر في هذا الباب ، إذ تحول الشاعر أبو نواس إلى ما يشبه شخصية أسطورية ، فإذا هو يدخل في قصص ألف ليلة وليلة . ([1])

إن أبا نواس حقيقة كان يصور جانبا عامرا من جوانب النفس الإنسانية ، بهذا اللهو الذي أوغل فيه بعنف أدق تصوير وأبرعه ، ومن هنا تعشقته النفوس وتعلقت به القلوب ، لأنها وجدت فيه ريها وغذاءها ، وقد غلت هذه النفوس أحيانا فأرادت أن تضيف من عندها شيئا لأبي نواس ، لتكمل صورته التي تتخيلها له في أعماقها ، فنسجت حوله الطرائف وصنعت له الأخبار ، ورسمت ذلك كله في إطار جميل خلاب من أخيلتها ورغائبها .

والخمر التي يشربها أبو نواس خمر حسية ما في ذلك ريب ، ولكنه من فرط شغفه بها وتقديسه لها ، قد انتقل بها من الحسية إلى المعنوية ، فجعلها فكرة شائعة تحس بها الروح ولا تدرك لها كنها ، وجعلها معنى دقيقا أشبه ما يكون برجم الظنون ، وشيئا لا يحس إلا بالغريزة ، وروحا لا يقوم بها

---

[1] - ينظر شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول دار المعارف القاهرة ، مصر ط8 د . ت ص 122 وما بعدها

جوهر من اللطافة ، ولا يشف عنها نور من الصفاء ، وترقى به العشق درجات في معراج الفتنة ، فأخذ شعوره بها يقترب من شعور المتصوفين بالآلهة ، فلها آلاء وأسماء حسنى ، ولها صفات تجل عن الشبه والمثل .

والذي نعتقده أن وراء هذا الشعر الجميل روحا قلقة معذبة ، تبحث عن سعادتها في فرح الحياة ، وتبتعد جهد طاقتها عن الألم ، إن هذا الاستغراق في البحث عن الفرح وأسبابه ، ليجعلنا نلمس مقدار ما كان يحس به من شقاء باطن وياس عميق وحزن دفين .

عرض النص :

عـــــــاج الشقي على دار يسائلها وعجت أسـأل عـــن خمارة البلد

كم بين من يشتري خمـــرا يلذ بها وبين بـــــــاك على نـوى منتضد

لا يرقئ الله عيني من بكى حجـــرا ولا شفى وجد من يصبو إلى وتـــد

قال ادكرت ديار الحي مـــــن أسد لا در درك قل لي مـــــن بنو أسد

ومن تميم ومـــــــن قيس ولفهما ليس الأعاريب عند الله مـــن أحد

دع ذا عدمتك واشـــــربها معتقة صفراء تعنق بالماء والزبـــــــــد

من كف مختصر الزنـــــار معتدل كغصن بان تثنى غيـــــــر ذي أود

لما رآني أبـــــــــوه قد قعدت له حيى وأيقـــــن أني متلف صفدي

فجاءني بســـــــلاف لا يحف لها ولا يملـــــكها إلا يـــــــدا بيد

واسمح وجد بالذي تحوي يداك لها لا ندخر اليوم شيئا خوف فقر غد

يا عاذلي قد أتتني منك بـــــــادرة فإن تغمدها عفوي فـــــــلا تعد

لو كان لومك نصحا كنت أقبله لكن لومك محمول على الحـــسد ([2])

---

[2] - ديوان أبي نواس برواية الصولي ، تح/ بهجت عبد الغفور الحديثي ، دار الكتب الوطنية ، أبو ظبي 2010

شرح الكلمات :

عاج : مال ، والعوج عطف رأس البعير بالزمام أو الخطام .

النوى : الحفر حول الخيمة يمنع عنها السيل ، والمنتضد : مكان الإقامة .

الزنار : ما يلبسه الذمي يشده على وسطه . والأود : الاعوجاج

الصفد : العطاء . السلاف : الخمر . لايحف لها : لا يملؤها إلى حافاتها .

البادرة : الكلام الذي يسبق من الإنسان في الغضب . تغمدها : سترها وغطاها .

أسئلة للفهم والمناقشة :

ـ بم يذكرك مطلع القصيدة في بناء القصيدة العربية ؟

ـ ما موقف أبي نواس من الوقفة الطللية ؟ وما هي الأمور التي يعرضها بديلا عن ذلك ؟

ـ ما مذهب أبي نواس في الحياة ؟ ومن هو الشقيوالسعيد في نظره ؟

ـ عُرِف أبونواس بشعوبيته ، ماذا يقصد ب(الشعوبية) ؟

ـ في النص احتقار لكل قديم ولكل من تمسك به ، أين تجد ذلك في النص ؟

ـ حدد الأسباب التي أوجدت الصراع بين القديم والجديد (المحدث).

ـ ما الفرق بين الصدق الفني والصدق الأخلاقي ؟

ـ حدد أهم القضايا – الجلية والخفية – التي يطرحها أبو نواس في هذا النص .

أبو العتاهية : زعيم الحركة الزهدية

ولد الشاعر إسماعيل بن القاسم (أبو العتاهية) سنة 130 هـ بالأنبار ، ثم انتقل والده بأسرته إلى الكوفة ومعه ابناه زيد وأبو العتاهية ، ولا يكاد يشب ثانيهما حتى نراه ينتظم في سلك المخنثين (يخضب يديه ويتزين ويلبس ملابس النساء وشارة تميزه ، ولعل في ذلك ما يدل على ما كان يحسه هذا الغلام من ضياع ، وكان ذميم الوجه قبيح المنظر ، نزعت نفسه ٰلى اللهو والمجون ، وكان سيئ السيرة في مطالع حياته .

توثقت الصلة بينه وبين إبراهيم الموصلي ، وتعاقدا على أن ينزلا بغداد ، لعل بضاعتهما تروج فيها ، وفتحت الأبواب لإبراهيم بينما سدت في وجه أبي العتاهية ، لكن الخليفة المهدي أوسع له في مجلسه في بادئ الأمر وأغدق عليه جوائزه ، ثم طرده وسجنه واعتبره معتوها فعفا عنه ، فاستوى له بذلك لقبه (أبو العتاهية) .

اختلط أبو العتاهية بجماعة المجان من أمثال مطيع بن إياس ووالبة بن الحباب وأبي نواس ، وأخذ يعب معهم الخمر واللهو في دور القيان ، وظل يعيش للهو والغناء حتى كانت سنة 180 هـ فإذا هو يتحول من حياة اللهو والمجون إلى حياة الزهد والتقشف ولبس الصوف ، ويحاول الرشيد أن يعود به ثانية إلى ما كان عليه فيمتنع ، ويكثر من شعر الزهد وذكر الموت والفناء والثواب والعقاب والدعوة إلى مكارم الأخلاق .

وكان يحاول أن يمزج بين عقيدة الإسلام وعقيدة المانوية ، وفي ذلك يقول أحمد بن حرب : « كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد ، وأن الله خلق جوهرين متضادين لا من شيء ، ثم إنه بنى العالم هذه البنية منهما ... وكان يزعم أن الله سير كل شيء إلى الجوهرين المتضادين قبل أن تفنى الأعيان جميعا » .وهو يقصد بالجوهرين طبعا النور واظلام أو الخير والشر .

وكان مع دعوته إلى الزهد شحيحا مع كثرة ما كان يكتنز من أموال ، وتروى في شحه نوادر كثيرة ، ومعنى ذلك أن زهده إنما كان زهدا في الظاهر ، أما في الباطن فقد ظل من طلاب الدنيا ومتاعها الزائل ، وظل يمدح الخلفاء والوزراء وينال أعطياتهم حتى وافته المنية سنة 212 هـ ومن أشهر قصائده في الزهد ذات الأمثال .

ويمضي في أشعاره الزهدية ينعى الحياة إلى أهلها ويبكيها ويندبها ، مهولا رقدة الموت الأبدية ، ومنغصا على من يسمعه كل لذة له وكل نعيم ، فالأجل قصير والمنايا راصدة والقدر أزلي ونحن آلات بأكفه ، ولعله من أجل هذا الإحساس آمن بالجبر والاضطرار ، وإنه ليصرخ من أعماق قلبه : ليس هناك إلا الفناء والأسى والكآبة ، وهي نظرة سوداوية جاءته من مانويته ، يقول :

إلهي لا تعذبني فـــــــإني مقر بالذي كـــــــان مـــــني

وما لي حيلة إلا رجـــــــائي لعفوك إن عفوت وحسن ظني

وكان لأشعاره الزاهدة صدق عميق في نفوس الطبقة الفقيرة ، التي لم تكن تعرف ترفا ولا نعيما ، وكأنما أحست أنه يتغنى آلامها وبؤسها . ([1])

الموت في شعر أبي العتاهية :

من الموت تتفرع خطوط دعوته للزهد ، من ترك للدنيا وابتعاد عن ملذات الحياة ، فهو وحش مخيف يقف حائلا أمام الإنسان في الدنيا ، فلا قيمة لسعي أو عمل ، ولا خير في حياة نهايتها الموت ، فهل وظف أبو العتاهية الموت في دعوته الزهدية ؟ أم أنه مظهر من مظاهر التشـــــاؤم عنده ؟

يرى بعض الباحثين أن أبا العتاهية على كثرة ما استعان بالدين في زهده الذي ملأ به ديوانه ، كان فاسقا مشتهرا بالمجون ، وأن فلسفته وحكمته لم تتقيد بالدين إلا بقدر ما ينسجم مع وجهة نظره التي تعتمد على مذهب المانوية في الحياة ، وما يستر زندقته ويخفيها عن الناس ، والجبرية هي من مكوناته العقلية ، لأن هذا المذهب لا يتعارض مع روح المانوية في الاستسلام والخنوع . ([2])

يحدثنا أبو سلمة الغنوي فيقول : قلت لأبي العتاهية : ما الذي صرفك عن قول الغزل إلى قول الزهد ؟ قال : إذا والله أخبرك ، إني لما قلت :

---

[1] - ينظر شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ط8 د . ت ص 237 - 253

[2] - ينظرمحمود أحمد الحلحولي ، إبراهيم مصطفى الدهون : بنية اللغة الشعرية في خطاب الموت عند أبي العتاهية ، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 17 العدد 2 2020 ص 329- 356

لله بيني وبـين مـــــولاتي أبدت لي الصد والملامات

منحتها مهجتي وخالصتي فكان هجرانها مكافــاتي

هيمنها حبها وصـــــيرني أحدوثة في جميع جاراتي

رأيت في المنام في تلك الليلة كأن آتيا أتاني فقال : ما أصبت أحدا تدخله بينك وبين عتبة يحكم لك عليها بالمعصية إلا الله تعالى ، فانتهت مذعورا ، وتبت إلى الله من ساعتي من قول الغزل ، ويؤيد هذا العزم عنده تلك القصيدة الرائعة التي تبين تجربة حبه لعتبة وهي من التجارب التي هزت كيانه وحولته إلى الزهد .

قطعت منك حبائل الآمال وحططت عن ظهر المطي رحالي

وهي القصيدة التي تكاد تكون أنموذجا متكاملا لشعره في الزهد ، من حيث هي جامعة لأكثر خصائصه الفنية ، حاوية لكثير من معاني فلسفته في الحياة ، يخاطب الدنيا ويكشف عن غرورها ، وفي ذلك يقول :

ويئست أن أبـقى لشيء نلت مما فيك يـــــــا دنيا وأن يبقى لي

فوجدت برد اليأس بين جــوانحي وأرحت من حلي وترحـــــــالي

ولئن يئست لرب بـــــرقة خلب برقت لذي طمع وبـــــرقة آل

ما كان أشأم إذ رجـاؤك قـــاتلي وبنات وعدك يعتلجن ببـــالي

الآن يـــــا دنيا عرفتك فاذهبي يا دار كـــــــل تشتت وزوال

والآن صار لي الزمـــــــان مؤدبا فغـــــــدا علي وراح بأمثـــال

والآن أبصرت السبيل إلى الهدى وتفرغت همي عن الأشـغـال

ولقد أقـــــام لي المشيب نعاته يفضي إلي بمفرق وقـــــــذال

ولقد رأيت الموت يـبرق ســـيفه بيد المنية حيث كنت حيـالي

ولقد رأيت عـرى الحياة تخرمـت ولقد تصدى الوارثون لمـــالي

ولقد رأيت على الفنـــــــاء أدلة فيما تنكر من تصرف حـــالي

وإذا اعتبرت رأيت خطب حوادث يجرين بالأرزاق والآجـــــال

وإذا تناسبت الرجـــــال فما أرى نسبا يقاس بصالح الأعمـال ([3])

أسئلة للفهم والمناقشة :

ـ يبدو أبو العتاهية من خلال قصيدته خبيرا واعظا وشيخا زاهدا ، بين ذلك مستدلا ببعض الشواهد من النص .

ـ بين كيف عبر الشاعر - من خلال أسلوب الترغيب والترهيب – عن موقفه من الدنيا وأحوالها ، وأين نجد ذلك في النص ؟

ـ ما الغاية من تكرار الشـــاعر لبعض الكلمات أو مرادفاتها (أبقى ، يبقى) و (الموت ، المنية) و (الدنيا) ؟

ـ وظف أبو العتاهية الإحالة القبلية والإحالة البعدية في عدد من الأبيات ، حددها حسب ورودها في النص .

ـ أقام الشاعر علاقة تنافر وتضاد في عدد من الأبيات ، اذكر بعضها كما وردت في النص .

ـ مارس الشاعر أسلوب الحذف ، حاول أن تتعرف علي مواطنه في هذه القصيدة .

ـ من صور الربط : التخيير والتفريع ، هل تجد له أثرا في هذه القصيدة ؟

[3] - أبو العتاهية : الديوان ، دار بيروت للطباعة والنشر 1986 ص 325 – 326

البحتري شاعر الوصف والعتاب .

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد ، غلب عليه لقب البحتري نسبة إلى عشيرته الطائية بحتر ، ولد سنة 206هـ بمنبج بالشمال الشرقي من حلب ، ساءت العلاقة بين البحتري وعبيد الله صاحب شرطة بغداد ، وكان ابن الرومي صديقا لهذا الأخير ، فاتهما البحتري بأنه لا يعـرف فلسفة ولا منطقا ، مما جعله يهجو عبيد الله ببائية يقول فيها :

كلفتمونا حـــــدود منطقكم والشعر يغني عن صدقه كذبه

ولم يكن ذو القـروح يلهج بال منطق ما نوعه ومـــــا سببه

والشعر لمح تكفي إشـــــارته وليس بالهذر طـــولت خطبه

بين الشاعر والذئب : قصيدة مطلعها :

سلام عليكم لا وفاء ولا عهد أما لكم من هجر أحبابكم بـُدُّ

وفيها يفتخر ويصف ما دار بينه وبين الذئب . يقول :

وليل كأن الصبح في أخريـــــــاته حشاشة نصل ضم إفرنده غمـد

تسربلته والذئب وسنان هـــــاجع بعين ابن ليل ما له بالكرى عهد

أثير القطا الكدري عـــــن جثماته وتألفني فيه الثعالب والربـــــد

وأطلس ملء العـين يحمـــل زوره وأضلاعه من جانبيه شوى نهـــد

له ذنب مثل الرشاء يجـــــــره ومتن كمتن القوس أعوج مُنـْـأَدُّ

طواه الطوى حتى استمر مريـــره فما فيه إلا العظم والروح والجلد

يقضقض عصلا في أسرتها الـــردى كقضقضة المقرور أرعده البـــرد

سما لي وبي من شدة الجوع ما به ببيداء لم تعرف بها عيشة رغـــد

كلانا بها ذئب يحدث نفســـــــه بصاحبه والجد يتعسه الجِـــــد

عـوى ثم أقعى فارتجـــزت فهجته فأقبل مثل البرق يتبعه الرعـــد

فأوجزته خرقـــــاء تحسب ريشها على كوكب ينقض والليل مســـود

فما ازداد إلا جـــــــرأة وصرامـة وأيقنت أن الأمر منه هـــــو الجـد

فأتبعنها أخـــــرى فأضللت نصلها بحيث يكون اللب والرعب والحقد

فخر وقد أوردته منهل الـــــــردى على ظمإ لو أنه عذب الـــــــورد

وقمت فجمعت الحصى فاشتويته عليه وللرمضاء من تحته وقـــــد

ونلت خسيسا منه ثـــــــم تركته وأقلعت عنه وهو مُنْعَفِرٌ فـــــرد ([1])

المفردات :

حشاشة النصل : بقيته ، إفرند السيف : جوهره ووشيه ، يقول : رب ليل يبدو الصبح في آخره خطا رفيعا عند الأفق المظلم ، كأنه بقية سيف أغمد إلا جزء منه ، تسربل الليل : صاحبه وسرى فيه ، ابن الليل : دائم السهر أشبه باللص ، الكرى : النوم الخفيف ، يقول : سريت بعين لص لا يعرف النوم ، في حين يكون الذئب نائما ، القطا : طائر في حجم الحمام يسير جماعات ، الكدري : المائل إلى السواد ، الجثمات : جمع جثمة وهي الأكمة ، الربد : هو الأسد ، يقول : أثير القطا عن مراقده بسيري في ذلك الليل في صحبة الثعالب والأسود ، الأطلس : من في لونه غبرة إلى سواد ، ملء العين : طويل مهيب ، الزور : وسط الصدر ، الشوى : ما كان في غيرمقتل الأعضاء ، النهد : البارز لما به من الهزال ، الرشاء : الحبل ، المتن : الظهر ، المنأد : المعوج ، الطوى : الجوع ، استمر مريره : استحكم عليه ، يقول : أهزله الجوع واشتدت وطأته فلم يبق فيه إلا العظم والروح والجلد ، يقضقض عصلا : يصوت بأسنان صلبة معوجة ، الأسرة : الخطوط ، المقرور : من أصابه البرد ، الحد : الحظ ، أقعى : جلس على مؤخرته ، ارتجزت : رفعت صوتي ، أوجزته : طعنته ، الخرقاء : صفة للسهم ، الرمضاء : الرمال الحامية ، الخسيس : القليل ، المتعفر : الممرغ في التراب .

فهل حصلت تلك المعركة بين الشاعر والذئب أم كانت من صنع الخيال ؟

[1] - لبحتري : الديوان ، تح/ حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ج2 ط3 1972 ص 742 -745

كيف شكل الذئب مصدر قلق وخوف ، وانبهار وإعجاب في آن واحد في المخيلة العربية وفي الموروث الأدبي ؟

يقول الفرزدق في علاقته بالذئب :

فقلت له لما تكشـر ضاحـــــكا وقائم سيفي في يـــــدي بمكـان

تعش فإن عاهدتني لا تخـــونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما أَخيَّـــــــين كانا أرضعا بلبـان

فالفرزدق رغم أنه استضاف ذئبا ، وتقاسم معه الزاد ، فهو ممسك بسيفه خوفا من غدره . فليس منه مأمن ، فالذئب الذي ربته الأعرابية مع غنمها وهو صغير ، تطعمه حليب شاة عندها ، فلما كبر أكل تلك الشاة وفي ذلك تقول :

بقَرتَ شُوَيْـهتي وفجعت قلبي وأنت لشاتنا ولـــــد ربيب

غذيت بـــــدرها وربيت فينا فمن أنباك أن أبـاك ذيب

إذا كانت الطباع طباع سوء فـــــلا أدب يفـيد ولا أديب

إن الخوف من الذئب أمر أبدي أزلي في ذهن العرب في الجاهلية والإسلام ، ففي حديث للرسول (ص) يقول : « إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » نجد في هذا الحديث النبوي دلالة واضحة على حزم الذئب ويقظته ، وتمثل الصراع من أجل البقاء ، فجوع ابن آدم غالب على جوع الذئب ، فكانت الغلبة له .

فالشاعر يصور حياة التوحش المأساوية التي يعيشها جراء خصومته مع قرابته وقومه ، ولم يكن راغبا في هذه المواجهة العدوانية ، ويظهر ذلك في البيت الثامن من هذا النص ، فموقف الشاعر ليس إلا ردة الفعل ، يرفض الصمت إزاءها ، فالمواجهة حتمية إذ يصبح الخيار الآخر أمام الطرفين هو الموت جوعا .

إن الواقع المأساوي لطرفي هذه المواجهة حولهما إلى كائنين غير مختلفين « كلانا بها ذئب يحدث نفسه » لقد ابتعد الشاعر عن إنسانيته ، حيث استولى عليه السلوك الوحشي ، فلما ازدادت جرأة الذئب وصرامته ، صمم الشاعر على عدم الخوف والرغبة في القضاء عليه ، فكان الذئب أمام

خيارين : إما الموت جوعا ولم يجد بديلا عن الشاعر ، أو الموت قتلا على يد الخصم ، وهو موت يمتزج بأمل الانتصار على خصمه وإشباع جوعه ، لكن انتصر الخيار الثاني ، والبيتان الأخيران يكشفان عن ذروة ما وصل إليه الشاعر من التوحش ، لكن الإنسان في داخله كان أقـــــوى حضورا ، حيث اكتفى بالقليل من اللحم على شدة جوعه ، وانصرف مزهوا بانتصاره عليه .

فالفرزدق انتهى إلى مصاحبة الذئب ، حيث تأكد له عبر تقاربهما أن الذئب كائن لا يقل عنه حزنا وألما وحاجة إلى دفء الصاحب ، بينما سار البحتري إلى قتل من أكدت له التجربة أنه عدو غاشم لا يعرف الرحمة ، وأن قسوة الحياة لا تسمح باستمرارهما معا في هذا العالم ، فإما أن يأكل الذئب الشاعر أو ينتهي إلى مصيره المحتوم ، وينتهي الأمر على أن الإنسان لا يقل ذئبية عن الحيوانات المفترسة .

الصراع الذي يستمر على إثره طرف عبر التغذي من لحم غريمه وعدوه ، فقتل الآخر هو الوسيلة الوحيدة للنجاة ، وحسن حظ أحدهما لا يعني إلا سوء حظ الآخر في هذه المعركة التي لا تنتهي إلا بموت هذا أو ذاك .

فالشاعر الذي غادر مجتمعا بسيطا في بيئة أقرب إلى البداوة تسمه العلاقات البريئة المجردة من الأغراض النفعية والأطماع الدنيئة ، يصدمه ما يرى في مجتمع المدينة (بغداد)من تحارب وتنافس بغيض على الجاه والسلطة ، حتى ليصل الأمر إلى حد التخلص – الأخ من أخيه والابن من أبيه * وما يسم هذه الحياة من الجور والظلم .[2]

ولسنا بصدد إحصاء تناصات البحتري ، فنحن بالتأكيد أمام نص يتشكل على وقع أصوات سابقة تظل أصداؤها تتردد بقوة وفاعلية – الشعراء الصعاليك ، النابغة الذبياني ، الفرزدق ...وأبرزها بصمات طرفة بن العبد وخاصة على المستوى الصوتي باستخدام قافية الدال .

نحن أمام لوحة فنية يرسمها فنان محترف ، تنفذ إلى التفاصيل الجسدية والنفسية الدقيقة ، لكن بالكلمات والإيقاعات .

---

[2] - حمدة بنت مشارك الرويلي : وصف الأطلال في الشعر العباسي ، قصيدة « سلام عليكم » أنموذجا ، دراسة نقدية ، مجلة جامعةالملك عبد العزيز للآداب والعلوم الإنسانية ، مجلد 28 العدد 8 2020ص 223 - 242

أبو تمام الطائي شاعر الحماسة

أجمعت الروايات على أن أبا تمام (حبيب بن أوس الطائي) ولد في أواخر القرن الثاني للهجرة عام 188 هـ بقرية جاسم بين دمشق وطبرية ، من أسرة فقيرة ، كان أبوه عطارا ، أخذ يختلف منذ نعومة أظفاره إلى حلقات المساجد ، ينهل مما كان يجري فيها من ينابيع العلم والمعرف ، وسرعان ما تدفق ينبوع الشعر على لسانه ، لم يلبث أن أخرجه من الكتاب وأودعه حائكا يخدمه ويعمل عنده ، هاجر إلى مصر طلبا للمعرفة والغنى سنة 208 هـ ، ولكنه غادرها ممتلئ العقل فارغ اليدين ، انتقل إلى العراق واشتغل بالتأليف ، وفي هذه الفترة لمع نجمه ، ويدل على كثرة تنقلاته بين الشام ومصر وبغداد وخراسان قوله :

بالشـــام أهلي وبغـداد الهوى وأنا بالرقتين وبالفسطاط إخـــواني

وما أظن النوى ترضى بما صنعت حتى تشافه بي أقصى خراسان

ورثائيته لابن حُميْد الطوسي مثلت منعرجا في حياته الشعرية . استطاع أن يتصل بالمأمون ولكن اتصاله المثير كان بالمعتصم ، ولم يكن أبو تمام يخلو من طموح وحب المغامرة ، وكان واسع الثقافة مع تنوعها منها الثقافة الدينية والثقافة الفارسية واليونانية إلى جانب الثقافة العربية طبعا . جمع مختارات شعرية أهمها كتاب (الحماسة) ، ومختارات من شعراء الفحول من الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين ، وهي تصور لنا من بعض الوجوه دقة ذوق أبي تمام ، كما تصور ثقافته الواسعة بالشعر العربي ودرره النفيسة ، توفي سنة 231 هـ

يقول الصولي : إنه كان أسمر طوالا ، وكانت فيه تمتمة يسيرة جعلته يتخذ غلاما لإنشاد شعره بين يدي المعتصم وغيره . أما عن خبر تشيعه فقد كان في سبيل المأمون الذي كان يفضل عليا بن أبي طالب (ض) والحق أن أبا تمام كان وقورا يترفع عن الدنايا ، كما أن صلته بالمنطق والفلسفة يكثر من استخدام الأدلة المنطقية ، وهي مستمدة من إحساسه العميق بتشابك حقائق الكون ، من مثل قوله لمن عذلته على ضيق ذات يده :

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العالي

وقوله في تحبيب الرحلة عن الأوطان :

وطول مقام المــرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغــترب تتجـــــــدد

فإني رأيت الشمس زيدت محــبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

أما الخصائص العقلية فتتضح من خلال دقة معانيه وغوصه على طرائقها النادرة ، محتكما إلى قانوني التضاد والقياس وكثرة التوليد والاستنباط ، وأما خصائص الزخرفة فتبدو في روعة تصاويره وكثرة بديعه ، ولا يمكن الفصل بين الضربين من الخصائص ، إذ هما يتزوجان عنده تزاوجا رائعا ، ففي تصوير أيامه الماضية يقول :

أيام وصل كـــــاد ينسى طولها ذكر النوى فكأنها أيـــــام

ثم انبرت أيـــــام هجر أردفت بجوى أسى فكأنها أعوام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحـــــلام

فهو الذي ألهم ابن الرومي والمتنبي الشكوى من الزمن وما يصبه على الناس من البلاء وما يتصل بذلك من حكم ، ومن شعره الذي يصور فيه جود المعتصم وكثرة بذله :

تعود بسط الكف حتى لو أنه ثناها لقبض لم تجبه أنامله

لو لم يكن في كفه غــير روحه لجاد بها فليتق الله ســـائله

يقول الصولي : إنه كان لا يجيب هاجيا له حتى لا يستدر سبه ، وهو لا يجيد فن الهجاء ، أما الفخر فله فيه قصائد ينوه فيها بقومه من طيء يصور فيها مكارمهم ومحامدهم على شاكلة قوله :

أنا ابن الذين استرضع الجود فيهم وسمي فيهم وهو كهل ويـــــــافع

مضوا وكـــــــأن المكرمات لديهم لكثرة ما أوصوا بهن شـــــــرائع

بهاليل لــو عاينت فيض أكـــفهم لأيقنت أن الرزق في الأرض واسع ([1])

مفهوم الحماسة :

[1] - ينظر شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، دار المعارف بمصر ، ط8 ، د . ت ، ص 268 - 290

في الاصطلاح اللغوي عند العرب ، يكاد ينحصر مدلول الحماسة في الشجاعة الحربية ، وفي القتال من أجل فكرة سامية كالعقيدة أو الحرمة أو الشرف ، وركوب الموت خشية العار ،والتحريض على الأخذ بالثأر وعدم قبول الدية وذم الفرار وتوسع مدلول الكلمة في الأدب ، فضم المفهوم الشعر الذي ينظم في هذه الأغراض . إما للتحريض على القتال قبل الموقعة ، وإما لاستعراض تفاصيل المعركة بعد النصر ، استعراضا فيه الفخر المغالي والنخوة الشديدة .

هذه المعاني وغيرها عرفت في الأدب الغربي بعنوان (ملحمة) والملحمة عندهم هي القصة الشعرية التي تروى في صياغة أدبية رائعة وفي خيال شعري عجيب ، أعمالا جبارة يقوم بها بطل فذ كعوليس في الأوديسا و آخيل في الإلياذة أو مجموعة أبطال كما هو في الشاهنامة الفارسية . ويمكن القول : إن في المعلقات الجاهلية العشر أو السبع ما يستحق أن يكون ملحمة عربية كبرى ، لأن خواطر أصحابها متقاربة . ([2])

والواقع أن الحماسة لها معنى يتجاوز هذه المعاني إنها « تحفز نفسي للبذل والدفاع والوثوب والفداء ، كلما شعر المرء بحاجة إلى واحد من هذه التحركات الأربعة ، على أن يكون التحرك عفويا . ([3])

وقد عرض أبو تمام في كتاب الحماسة لقصائد الشعراء الذين تطرقوا لموضوعات الحرب والشجاعة وما يتعلق بمعانيها ، وتأخذ بناصية الدفاع عن القيم الأصيلة التي ارتفعت في النفوس ، والحرص على تربية الأبناء عليها ، من خلال النماذج الشعرية التي كانت تشحن بالدلالات الصادقة ، وقد اكتملت صورها شعرا واتسقت وزنا وقافية .

ويستقل شعر الرثاء بجوانب كثيرة يمكن حصرها في باب الحماسة ، فالشاعر ينفرد بندب الأبطال في حمى القتال ، وفي هذا الباب يميل إلى تعداد مناقب المرثي والدعوة إلى الاقتداء به والحرص على السير في الطريق الذي مات من أجله ، وتختلط صور الإعجاب بعبارات التمجيد ، وتتداخل معاني الخلود بمضامين الفخر.

---

[2] - محمد اليعلاوي : في إمكان الأدب الحماسي في عصرنا الحاضر ، مجلة الفكر 1970 العدد 1 ص 91 - 92

[3] - عبد اللطيف شرارة : أبو الطيب المتنبي الشركة العالمية للكتاب ط1 1988 ص 64

ودار الشعر العباسي في العهد العباسي حول وصف تعبئة الجيوش وزحفها ، ووصف الأسلحة والخيول والأساطيل والنصر وفرار العدو وما إلى ذلك ، وقد تتبع الشعراء في هذا العهد أساليب الأقدمين ومعانيهم ، وزادوا على ذلك أن مزجوا الحكمة بالتصوير الفني ، وألفوا بين الوصف وحسن التعليل .([4])

يقول أبو تمام في رائية مطولة يرثي فيها والي الموصل أبن حميد الطوسي :

كـــــذا فليجل الخطب وليفدح الأمــر فليس لعين لم يفض مـــــاؤها عــذر

توفيت الآمـــــــــل بعد محـــــمد وأصبح في شغل عـــن السفر السفـر

فتى كلما فاضت عيـــــون قبـــيلة دما ضحكت عنه الأحـــــاديث والذكـر

فتى دهره شطـــــران فيما ينـــــوبه ففي بأسه شطر وفي جـــــوده شطـر

فتى مات بين الضرب والطـــــعن ميتة تقوم مـــــقام النصر إذ فاته النصـر

وما مات حتى مـــــات مضــرب سيفه من الضرب واعتلت عليه القنا السمر

وقد كان فوت المـــوت سهلا فـــ،رده إليه الحفاظ المـــــــر والخلق الوعـر

ونفس تعاف العار حـــــتى كـــــــأنه هو الكفر يوم الـــــروع أو دونه الكفـر

فأثبت في مستنقع المـــــوت رجـــــله وقال لها من تحت أخمصك الحشـ،ر

غدا غدوة والحـــــمد نســـج ردائــه فلم ينصرف إلا وأكفـــــانه الأجـر

تردى ثياب المـــــوت حمـــرا فما أتـى لها الليل إلا وهي من سندس خضـر

كأن بني نبهان يـــــــــــوم وفـــــاته نجوم سماء خر مـــــن بينها البـدر

يعزون عن ثاو تعـــــــــــزى به العلى ويبكي عليه الجود والبأس والشعـر

وأنى لهم صبر عليه وقـــــــــد مضى إلى الموت حتى استشهدا هو والصبر

---

[4] - حنا الفاخوري : الفخر والحماسة دار المعارف بمصر 1968 ص 65 – 67

فتى كان عذب الروح لا مـــن غضاضة ولكن كبرا أن يقـــــــال به كبـــر

فتى سلبته الخيل وهـــــــــو حمى لها وبزته نار الحـــــــرب وهو لها جمـر

وقد كانت البيض المآثـــــير في الوغـى بواتر فهي الآن مـــــن بعده بتـر

سقى الغيث غيثا وارت الأرض شخصه وإن لم يكن فيه سحاب ولا قطـر

عليك ســـــــلام الله وقفا فإنـــــــــني رأيت الكريم الحـــــر ليس له عمـر ([5])

المفردات :

السفر : لم يتبين المساء من الصبح فقد غمت الدنيا بعد وفاة المرثي . ضحكت عنه : أظهرت ، ضحكت الأرض عن النبات أخرجته . غضاضة : المذلة والمنقصة . بزته : غلبه .

أسئلة الفهم والمناقشة :

- استخرج من النص مظاهر صمود المـــرثي أثناء المعـــــــركة والقيم التي كانت تحفزه على المقاومة والثبات .

- كرر الشاعر كلمة (فتى) في أبيات متتالية 4 ، 5 ، 6 ماذا تسمى هذه الظاهرة ؟ ادرس وظيفتها في الخطاب الشعري .

- تواتر في القصيدة معجم ديني ، استخرجه وبين وظيفته في الشعر الحماسي .

- أضفى الشاعر على المرثي في البيتين الأخيرين صفة الخلود ، ما الداعي إلى ذلك ؟ وما رأيك في موقفه ؟

- في البيت الرابع عشر من القصيدة ، هل استطاع الشاعر في رأيك أن يوفق بين اللحظة الإنسانية المتفجعة والوازع الديني الذي يحث على الصبر عند الموت ؟

- ما وجه الحماسة في شعر يقر فقدان القيم برحيل المرثي الأبدي ؟

- حلل الصورة البلاغية الواردة في البيت 18 ما الذي أضافته هذه الصورة للمرثي ؟

---

[5] - ديوان أبي تمام : شرح الخطيب التبريزي ، دار المعارف بمصر ، د . ط المجلد 2 1987 ص 79

- حدد المزاوجات الفعلية وبين ما تجسده من مجردات .

المتنبي : الظاهرة الشعرية

ولد أحمد بن الحسين المعروف بأبي الطيب المتنبي في كندة قرب الكوفة سنة 303 هـ ، ونشأ نشأة يكتنفها شيء من الغموض ، وذلك أن بعض الباحثين ذهب إلى افتراضات ، بعضها يعد أبا الطيب أبنا مكتوما لبعض الأشراف العلويين ، لكن الاتفاق حاصل على أن أحمد قد ربته جدته لأمه ، وأنه تردد على (الكتاب) فيه أشراف الكوفة ، وأن مخايل النجابة قد لاحت عليه مبكرا ، فأرسله أبوه - وكان سقاء – إلى بادية السماوة ، حتى صار بدويا قحا متضلعا بدقائق العربية .

أقام ببغداد ولكن لم يطل مقامه بها ، فرحل إلى الشام يمدح الأعيان ويتكسب بشعره ، فيقابل بالحفاوة حينا ، وبالصد أحيانا أخرى ، زج به إلى السجن بسبب إقدامه على حركة تمردية ضد السلطة الحاكمة ، وقيل أنه بسبب ادعائه النبوة ، ورأي ثالث يذهب إلى مكيدة دبرها له خصومه أفسدت عليه الإقامة بها .

أوصله حاكم أنطاكية أبو العشائر إلى سيف الدولة الحمداني ، فلازمه ما يقرب من عشر سنوات (337هـ – 346 هـ) فمدحه بأجود شعره ، وصحبه في الغزو وحضر مجالسه بحلب التي كانت عامرة بالعلم والأدب ، لكن الدسائس أفسدت ما بينهما من ود ومحبة ، فاضطر إلى الهرب قاصدا كافورا الإخشيدي بمصر ودامت إقامته بها خمس سنوات (346 هـ- 350 هـ) ومدحه طمعا في إمارة ، ولكن مماطلة صاحب مصر اضطرت الشاعر إلى الهرب مرة أخرى - بعد أن هجاه وقد مدحه من قبل – إلى الكوفة ثم بغداد وبقي متنقلا بينهما ، وهو في طريق العودة إلى الكوفة ، طلع عليه فاتك السدي في جمع من الأعراب ، فقتلوا الشاعر ومن معه جميعا وكان ذلك سنة 334 هـ

وليس من الإسراف في شيء أن يقال : إن للمتنبي في سيف الدولة ديوانا خاصا ، يمكن أن يستقل بنفسه ، وهو من أجمل شعره وأروعه ، لما فيه من الإجادة والإبداع ، فقد بلغت قصائده في مدح سيف الدولة ما ينيف عن ثمانين قصيدة ومقطوعة ، وليس في ذلك شيء من الغرابة ، فقد خصص المتنبي لسيف الددولة تسعة أعوام كاملة ، لم يمدح أثناءها أحدا غيره .

فلنلاحظ ظاهرة التناقض في نفسها ، لنصل إلى نتائج قيمة في تحقيق التاريخ الأدبي لهذا العصر ، فهي تقفنا على اخص ما يمتاز به هذا الرجل من التناقض الغريب بين رايه في نفسه وسيرته بين الناس ، فقد كان يطمح في شبابه إلى الحرية ، ولكنه لم يظفر برعـــاية أمير أو سيد إلا نزل عن نفسه ، وضحى في سبيله بهذه الحرية .

وأغرب من هذا أن سيف الدولة لم يشغل المتنبي عن مدح غيره من الأمراء والملوك فحسب ، بل شغله أيضا عن الشعر الخالص ، فلم يكن كأبي نواس الذي لم ينقطع لهارون الرشيد ولا لابنه الأمين ، بل كان يقول في الخمر والوصف وفي الهجاء وغيرها من الأغراض الشعرية ، فكانت له حياته يتصرف فيها كما يحب ، بخلاف المتنبي فلا يقول شعرا إلا إذا كان في علاقة بسيف الدولة .

ويمتاز شعر المتنبي في سيف الدولة بشيء آخر غير الكثرة هو التنوع ، وكان ذلك ناشئا عن أن حياة سيف الدولة نفسه كانت مختلفة الأنحاء والوجوه ، فقد كان أميرا عربيا مسلما ، شريف الأصل والنسب ، جوادا بعيد الهمة ، لذلك كان المتنبي يمدحه حين ينتصر رافعا راية الإسلام في وجه الروم ، ويمدحه ليعلي من شأنه أمام منافسة أمراء آخرين ، ويمدحه كذلك وهو جاد مع رعيته يردها إلى بيت الطاعة ، ويمدحه لاهيا أيام السلم ونديما له في مجالس الغناء والمجون .

وكان سيف الدولة يفي للمتنبي ما وسعه الوفاء ، فكان ذلك يثير حسدا وكيدا عند خصومه ، وكانت غطرسة المتنبي وتيهه تزيد هذا الحسد اضطراما ، وسيف الدولة كغيره من الأمراء يسمع للوشاة والكائدين ، فيضطر المتنبي أن يدافع عن نفسه ، بالعتاب والاستعطاف وهجاء الخصوم والمنافسين ، ثم كان سيف الدولة كواحد من الناس ، تمتحنه الأيام بما تمتحن به الناس جميعا من فقد الأبناء والأقرباء والأحباء ، فلم يكن بد للمتنبي أن يعزيه ويرثي له .

وميزة أخرى في شعر المتنبي هي وصف الجهاد بين المسلمين والروم ، فبالرغم من سبق أبي تمام والبحتري وغيرهما من الشعراء ، لم يفرغا لهذا الفن كما فرغ له ، ولم يشتركا في الجهاد كما اشترك فيه المتنبي ، فلم يكن يصور سيف الدولة وحده ، وإنما كان يصور معه نفسه .

وخصلة رابعة امتاز بها شعر المتنبي ، وهي أنه ملك ناصية اللغة والشعر ، وصار يتصرف بألفاظه ومعانيه ، كما يتصرف بها الفحول من الشعراء ، وأصبحنا نستطيع أن نقرأ القصيدة من شعره فنقول : إنها قصيدة المتنبي ، نقرأ القصيدة فنحس المثل الذي احتذاه ، والنموذج الذي اتبعه ، فمرة نحس أبا تمام ومرة نحس البحتري ، وحينا نلمح الحطيئة وحينا نلمح الأعشى ، وربما خيل إلينا أننا نرى زهيرا . ([1])

182

[1] - طه حسين : مع المتنبي ، دار المعارف بمصر ط 9 د . ت ص ص 168 – 172

الشعر من اللغة بلا ريب ، ولكنه نظام فوق نظامها ، هو (لغة في اللغة) إحداها مقيدة بضابط المعجم وقواعد الصرف والنحو ، وليس للأخرى من قاموس ولا لها من نحو إلا تلاقي عناصرها بصدفة الخلق .. فبين اللغتين انقلاب جدلي من القيد إلى الإطلاق ، ويواكب النظام اللغوي نظام ثان أسلوبي يخص جمال الأداء لا صحة التركيب ، فيضيف إلى دلالة الكلام قيمة الفن ، فيرتقي من النحو إلى البلاغة ، ومعها يبدأ التحول من اللغة وعنها إلى الشعر ، وتستند هذه البلاغة إلى المفردات ، وتمتد على مدى الجملة فتعمل على المحورين (محور الانتقاء) و (محور التأليف) .

ويأتي بعد البلاغة النظم ، والنظم غير الشعر ، ولكنه شرط ممكن من شروطه ، به تزداد منه دنوا ، فالتوازي البلاغي توازن عروضي ، ينقسم معه الكلام إلى شطرين متساويين كما متشابهين وزنا ، ومن النظم تقع الطفرة إلى الشعر ، وأخص مقوماته التوقيع والتنغيم والتخييل ، ولا بد من التفريق بين البحر والإيقاع ، فهذا وزن خارجي نظري ، وذاك وزن داخلي يتحكم فعلا في وتيرة الكلام ، وله كما للتنغيم وظيفتان متميزتان وإن تكاملتا : تعبير وتصوير ، ترجمة عن ذات الأنا المتكلم ، وتشخيص لذات الهو المتكلم عنه . ([2])

وظيفة الشعر:

إذا نظرنا إلى الوظائف التي يشترك الشعر في النهوض بها مع سائر الأقاويل ، ألفيناها تتمثل في نشر المعرفة وإذاعتها في الناس ، أو فيم نصطلح عليه اليوم بعبارة (الإبلاغ) ، والتأمل في شعر المتنبي من وجهة النظر هذه ، يفضي إلى أنه يسعى إلى أن يوفر في ذهن السامع موقفا من الحياة ، ناجما عن تجربة منها ... هذه العلاقة في آخر الأمر علاقة الثقافة التي يتحلى بها الإنسان ويستحضرها في سلوكه ، كان الحديث عنها في الشعر لا يكاد يتميز بشيء عن الحديث عنها في سائر فروع المعرفة .

ولكن الوظيفة التي ينهض بها الشعر وهي أسمى مهام الشعـــــر الاجتماعية ، إنما تتمثل في (عطف القلوب) على القيم وتحسينها في نظر الإنسان ، حتى تتراءى له جذابة ، تحرك الساكن وتدفع إلى إتيان الفعل ، إن المتعامل مع الشعر لا يلتمس فيه البراهين الدالة على صدق الكلام وصحته ، ولا ينشد منه اليقين بقدر ما يطلب روعة الجمال ، فكأن القيم التي يتغنى بها الشعراء قيم اختيارية ، لا

---

[2] - توفيق بكار : في جدليات النص الأدبي ، الدروس العمومية ، منشورات كلية الآداب بمنوبة تونس 1990 ص 7 – 17

تجبر المجموعة عليها أحدا ، ولكنها تكافئ بحسن الأحدوثة من يتحلى بها ، وهنا يصبح صوت الشاعر قريبا من ضمير الجماعة ، وهي تستلطف قيما وتتمنى لها الانتشار ، وتستوحش قيما أخرى فتود اندثارها . كالألفة والشجاعة والجود والمعرفة والذكاء وكل فضيلة .

إن تقديس القيم يخلق وحجة بين الناس لا تخلقها القوانين المقامة على الزجر والترهيب ، وعندما يتجه الشعر إلى الميول والأهواء والعواطف ، يتجه إلى موضع لا تشمله القوانين ، ولا تتحكم فيه المصالح الآنية العاجلة . ([3])

النزعة العقلية عند المتنبي : هل استطاع المتنبي أن يجمع بين تجريدية العقل وصرامة المنطق اللذين تتطلبهما الحكمة ، وبين الخيال والعاطفة ، وما يطمحان إله من تحرر في الفن ، لجعله يستخدم طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير.

الحكمة :

تعبير دقيق موجز عن تجربة من التجارب الإنسانية العامة ، يتضمن تفسيرا لها وتصويرا لوقعها على النفس ، بحيث يدفعها إلى العظة والاعتبار ، وهي مظهر من مظاهر قوة النفس وبراعتها في استشفاف ما يعتمل بها إزاء موقف من المواقف المثيرة وقدرتها على تصوير وقع الحوادث عليها تصويرا صادقا وتعبيرا موحيا يتجاوب مع كل نفس ، بحيث تراه ترجمة عما يراودها ويعتمل بها من آمال ، وتنفيسا عما استبد بها من آلام ، وفي الحكمة جانب من العبقرية ، يتجلى في قدرة الحكيم على جمع أطراف التجربة جمعا مستوي المعالم ، بحيث تبدو كقضية فكرية سليمة المقدمات مسلمة النتائج ، ... وقد وفق المتنبي في هذا المجال أيما توفيق ، حتى اشتهر بين النقاد ومؤرخي الأدب باسم المتنبي الحكيم ، ولعل هذا مبعث قول أبي الطيب حينما سئل عن نفسه وعن أبي تمام والبحتري : أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحتري . ([4])

اللغة الشعرية عند المتنبي :

---

[3] - حسين الواد : المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب ، أطروحة دكتوراه مخطوطة ، باب التجربة الجمالية ص ص 106 - 109

[4] - محمد عبد الرحمن شعيب : المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث : دارالمعارف بمصر ص 125 .

إن الدارس لشعر المتنبي ، يواجه ثروة لغوية واسعة ، تتجاوز حدود الفصيح إلى الغريب والشاذ الذي لا نكاد نجد له أثرا إلا في كتب الغريب وكتب النوادر ، وهو أمر يرجع إلى جرأته على اللغة ، مما جعله يبتكر أنساقا تعبيرية لم تسمع من قبله ، هذا الأسلوب في التعامل مع اللغة فتح لغة شعرية فريدة خاصة به ، مكنته من التربع على منزلة مرموقة في الشعر العربي.

واللغة العربية مطواعة مرنة ، لها من الإمكانات الذاتية ومن الطاقات التعبيرية المختلفة ، ما يجعلها قادرة على استيعاب كل جديد ، والتعبير عن كل القضايا والمواقف اللغوية المتجددة ، وفي مقدمتها ظاهرة الاشتقاق والتوليد اللغوي من ترادف وتضاد ونحت وصولا إلى الدخيل والمعرب ...

ظاهرة الألم : من بواعثه :

- الشعور بالظلم :

خبر الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من أمره ما عنانا

وتولوا بغصة كـــــلهم منه وإن سر بعضهم أحيـــانا

- الإحساس بالغربة :

بم التعلل لا أهـــل ولا وطن ولا نديم ولا كاس ولا سكن

- التشاؤم :

أتى الزمـــان بنوه في شبيبته فسرهم وأتيناه على الهـــــرم

قيل للمتنبي لما ادعى النبوة على من تنبأت ؟ قال على الشعراء ، فقيل : لكل نبي معجزة فما معجزتك ؟ قال : هذا البيت :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له مـــا مـــن صداقته بُدُّ

النرجسية في شعر المتنبي :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخـــرت لا بجـــدودي

استمدت النرجسية ( ) مفهومها من أسطورة (نرسيس) الذي تباهى بجماله عندما رأى صورته على صفحة الماء ، فغضبت الآلة منه فمسخته فكان (زهرة النرجس) ([5])

إنه الزهو والإعجاب الذاتي ، أي تركيز الفرد على ذاته (أناه) إلى حد الإفراط والعشق ، ومن سمات الشخصية النرجسية التعالي على الآخر وحب الظهور والشهرة على حساب الآخرين ، والانطواء على الذات وجنون العظمة ، ومن تجليات النرجسية في شعر المتنبي قوله :

أنا تِربُ الندى وربُّ القوافي وسمام العدا وغيظ الحسود

أنـــــــــا أمة تداركها الله غريـــــــــب كصالح في ثمود

وقوله :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وقوله :

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

أنا الذي نظر الأعـــمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي مـن به صمم

ولعل مرجع ذلك إلى نسبه المتواضع أو المجهول ، وهو مركب نقص في حياته ، لينعكس لا شعوريا أو شعوريا على المتنبي بفخره بنفسه ، وهو مركب تعويض أو ما سماه آدلر إنه تعويض الشعور بالنقص . ([6])

فذاتية المتنبي (تضخيم الأنا) مبثوثة في أشعارالفخر والشكوى بالخصوص ، وهو شاعر غيري في اتجاهين : اتجاه سياسي واجتماعي

ظل شعر المتنبي (ظاهرة إبداعية) قوية لافتة بزخم ما تطرحه من إشكالات تسعف القراءة على إعادة بناء تصوراتها حول الشعر كظاهرة تسمو بالنص الشعري إلى متعة القراءة . ([7])

---

[5] - محمد التونجي : المعجم المفصل في الأدب ج1 ط 2 دار الكتب العلمية بيروت 1999 ص 133

[6]- حسن أحمد عيسى : الإبداع في الفن والعلم د.ط المجلس الوطني للغات والفنون والآداب الكويت 1979 ص 53

فذاتية المتنبي وتضخيم الأنا مبثوثة في أشعار الفخر والشكوى بالخصوص ، وهو شاعر غيري في اتجاهين : اتجاه سياسي واجتماعي ، يظهر في مدائحه وأهاجيه ومراثيه ، واتجاه إنساني يظهر في حكمته ، شعر المتنبي باختصار هو جسد لعبور الآمن المتوازن بين أعرق القيم الفكرية والوجدانية واللغوية والجمالية ، وبين الأجيال العربية المتجددة . هذا سر من أسرار خلوده وتكثيف تأليفي لمعنى أنه كلاسيكي –جديد . ([8])

قال أبو الطيب يمدح سيف الدولة الحمداني وقت منصرفه من بلاد الروم :

الرأي قبل شجاعة الشجعـــان هو أول وهي في المحـــل الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفس حـــرة بلغت من العلياء كل مـــكان

ولربما طعن الفتى أقـــــــران بالرأي قبل تطاعن الأقـــران

لولا العقول لكان أدنى ضيـــغم أدنى إلى شرف مـــن الإنسان

لولا سمي سيوفه ومضـــــاؤه لما سللن لـــــكن كالأجـــفان

خاض الحمام بهن حتى ما دلرى أمن احتقار ذاك أم نســـيان

وسعى فقصر عن مداه في العلى أهل الزمـــان وأهل كـل زمان

قاد الجياد إلى الطعان ولم يقد إلا إلى العـــادات والأوطـــان

في جحفل ستر العيون غباره فكأنـما يبصـــــــــرن بالآذان

يرمي بها البلد البعيد مظفـر كـــــل البعيد له قـــريب دان

فكأن أرجلها بتـــــربة منبج يطرحن أيديها بحصن الـــــران

---

[7] - محمد آيت لعميم : الروح القلقة والترحال الأبدي الصادر حديثا 2010 عن المطبعة والوراقة الوطنية .

[8] - مبروك المناعي : أبو الطيب المتنبي ، قلق الشعر ونشيد الدهر ، سلسلة عيون الدراسات ، دار اليمامة للنشر والتوزيع تونس 1992 ص 181 - 183

وحشاه عادية بغـــير قوائم عقم البطون حوالك الألـــوان

تأتي بما سبت الخـيول كأنها تحت الحسان مرابض الغـزلان

يا من يقتل مــن أراد بسيفه أصبحت من قتلاك بالإحـسان

فإذا رأيتك حـار دونك ناظري وإذا مدحتك حار فيك لســاني ([9])

شرح المفردات :

منبج ب: بلد بالشام بالقرب من حلب ، وحصن الران موجود ببلاد الروم المتاخمة لبلاد الشام .

الضيغم : الأسد الواسع الشدق . سمي سيوفه : صفة تعني سيف الدولة . الأجفان : مفرده جفن وهو غمد السيف . الحمام : قضاء الموت وقدره . الجحفل : الجيش الكثير . الحباب : الفقاقيع التي تعلو الماء .

أسئلة للفهم والمناقشة :

- بم علل الشاعر تقديمه الرأي على الشجاعة ؟ هل توافقه الرأي ؟ علل جوابك .

- راوح الشاعر بين السرد والوصف في مدحه سيف الدولة ، وضح مواطن ذلك من القصيدة ، وبين أثر هذه المراوحة في تنامي النفَس الحماسي .

- بين قيمة المغالاة في تحقيق شعرية النص ، من خلال المعاني المدحية الواردة في النص .

- قدم الشاعر في الصراع بين الأقران قوة الحجة على حجة القوة ، هل ترى هذه الفلسفة ما زالت صالحة في عصرنا ؟

- ركز المتنبي في مدحه سيف الدولة على القوة الحربية وشدة الفتك ، لكنه في هذا النص يقدم العقل على الشجاعة ، فهل تراه متناقضا في ذلك ؟ وعلل إجابتك .

- بيت القصيد في هذا النص هو آخر بيت فيه ، أدرسه ثم بين دوره في توليد معاني الأبيات التي سبقته .

---

[9] - أبو الطيب المتني : الديوان شرح العكبري ، دار المعرفة بيروت لبنان ج4 د . ت ص 174

- حلل تركيب الشرط في البيتين 4 ، 5 وبين مقصد الشاعر من استعماله .

- ماذا أضاف التشبيه الوارد في البيت السابع عشر إلى جمالية الصورة ؟

- تبين الفرق بين الرأي والتعصب ، وبين الشجاعة والتهور مع تقديم أمثلة من الواقع والتاريخ ..

ابن المقفع والنص المخاتل

ابن المقفع فارسي الأصل ، نزل بالبصرة وتلقى ثقافته اللغوية والأدبية ، عمل في كتابة الرسائل لولاة بني أمية على بلاد فارس حتى قامت الدولة العباسية سنة 132 هـ وظل والده مجوسيا مانويا ، عمل في دواوين الخراج للحجاج ، وظهرت عليه خيانة في أموال الدولة ، فضربه الحجاج حتى تفقعت يده (يبست) فسمي المقفع ، لم يسلم بل مات على دينه ، وعليه نشأ ابنه عبد الله ، يقال أن الخليفة المنصور إنما أمر بقتله لما ثبت عنده من زندقته وكيده للإسلام ، والصحيح أن المنصور ثار لكرامته فاضطهده (صيغة الأمان المشؤوم) قُطِّع عضوا عضوا ثم رمي به في التنُّور ، وذلك سنة 145 هـ .

وكان – مع زندفته – نبيل الخلق وقورا يترفع عن الدنايا ، ولا يجعل للهوى سلطانا على عقله ، وكان يأخذ نفسه بكل ما يمكن من خصال المروءة والشعور بالكرامة ، نقل ابن المقفع مادة غزيرة في (الأدب الصغير) و (الأدب الكبير) و (اليتيمة) و (رسالة الصحابة)، وعمد إلى خير أثر في لغته للهنود وهو كتاب(كليلة ودمنة) فنقله إلى العربية .

فالأدب الصغير رسالة قصيرة في نحو ثلاثين صحيفة ، تتضمن طائفة من الوصايا الخلقية والاجتماعية التي ترشد الناس إلى إصلاح معاشهم في أنفسهم ، وفي علاقاتهم بعناصر المجتمع من أهل السلطان ومن الصدقاء ومن غيرهم .

أما الأدب الكبير فرسالة أكثر طولا ، إذ تمتد إلى نحو مائة صحيفة ، موزعة بين موضوعين كبيرين هما : السلطان وما يتصل به من السياسة والحكم ، والصداقة وما يتصل بها من صفات الصديق الصالح .

أما الدرة اليتيمة وهما كتابان لا كتابا واحدا ، وفيها قسمان في الحكم المنقولة وقسم في شيء من الديانات .

ورسالة الصحابة تخوض في السياسة وفي شؤون الديانات .

ولعل الإصلاح الذي كان ينشده للدولة العباسية هو الذي دفعه إلى ترجمة القصص الخيالي الهندي ، أو بعبارة أخرى ترجمة كليلة ودمنة مع إضافة فصول جديدة ، ويقال أنها نقلت في عهد كسرى أنوشروان من الهندية إلى الفهلوية ، وأضاف الفرس إليها أبوابا أخرى ، وقد عثر بعض الباحثين على بعض أصولها الهندية ، غير أن الفرس استغلوا الكتاب قبل نقله إلى العربية في الدعوة

لمذهبهم المانوي . وهو يعد من نفائس الآثار الفكرية ومن روائع كتب الأدب العربي ، ترجم على عدة لغات عالمية واحتل مكانة سامقة في الفكر الإنساني

لا شك أن ابن المقفع يعد أحد أساطين الكتاب في عصره ، جمع بين التفكير الفارسي والبلاغة العربية في لغة أدنى إلى البساطة والوضوح ، وبلا ريب فقد أحدث في الكتابة النثرية الفنية كثيرا من الأصول في المنهج والأسلوب وطرق الأداء ، وفي نظامها في البدء والانتهاء ، والتردد بين الإيجاز والإطناب ، وفي تضمينها الكثير من المعاني الدقيقة والحكم الرفيعة ، ورغم العمر القصير 36 عاما فقد أودع الفكر العربي أسمى روائعه التي تدل على عبقرية فذة ومواهب فائقة .

وأسلوب ابن المقفع في سلاسته وجزالته وجماله وسحره يمثل رايه في البلاغة التي كان يعرفها بأنها (هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها) وكان يتجنب الغرابة والحوشية وهو القائل : (إياك والتتبع لحوشي الكلام طمعا في نيل البلاغة ، فإن ذلك هو العي الأكبر) .

وهو من الجانب الفكري عملاق ، تدل على ذلك كتاباته فهو واسع الاطلاع على الثقافتين : العربية والفارسية ، إذ نجده في كتابيه : الأدب الصغير والأدب الكبير اللذين جمع فيهما طائفة من أفكاره وحكمه ، إلى جانب أقوال الحكماء في الأخلاق والآداب وتربية النفس وسياسة الملك ، إذ كان يحاول أن يرسم خطوطا عريضة لمجتمع قوي ، تسوده المحبة والطمانينة والثقة والصداقة .

وفي القرآن الكريم قصص خالدة على ألسنة الطير مثل قصة الهدهد وقصة النملة مع النبي سليمان عليه الصلاة والسلام ، وذلك أن الحكمة كلما جاءت على ألسنة الحيوانات والطير كان وقعها في النفس أعظم ومتعتها أجل ، ويذكر أن سبب تأليف الكتاب هو رغبة ملك من ملوك الهند في تعليم أبنائه المعرفة والحكمة وحب العلم والعلماء، فأشار إليه أحد المقربين باستدعاء كاهن برهمي حكيم ، فاستدعاه ووكل إليه الإشراف على تعليم أبنائه ، فوضع الكاهن لهم هذا الكتاب ليحببهم في المعرفة بأسلوب مشوق وذلك نحو عام 300 ق . م

ويهمنا أن نعرض نصا لابن المقفع من كتاب كليلة ودمنة (من أبناء آوى) وليكن هذا النص هو (مثل الأسْوَد وملِك الضفادع) :

قال الغراب : زعموا أن أسوَدَ كبر وهرم فلم يستطع صيدا ولم يقدر على طعام ، فدب يلتمس المعيشة لنفسه حتى انتهى إلى غدير ماء كثير الضفادع ، قد كان يأتيه ويصيد من ضفادعه ، فوقع

قريبا من الغدير شبيها بالحزين الكئيب . فقال له ضفدع : ما شانك أراك حزينا كئيبا ؟ قال : ما لي لا أكون حزينا وإنما كان أكثر معيشي مما كنت أصيد من الضفادع ، فابتليت ببلاء حرمت علي الضفادع حتى لو لقيت بعضها على بعض لم أجترئ على أكله . فانطلق الضفدع فبشر ملكه بما سمع من الأسود ، فدنا الملك من الأسود فقال له : كيف كان أمرك هذا ؟ فقال الأسود : لا أستطيع أن آخذ من الضفادع شيئا إلا ما يتصدق به علي الملك . قال : ولم ؟ قال : إني سعيت في إثر ضفدع منذ ليال لأخذها فطردتها إلى بيت مظلم لرجل من النساك ، فدخلته ودخلت في إثرها ، وفي البيت ابن الناسك فأصبت أصبعه فظننتها الضفدع فلسعتها فمات ، فخرجت هاربا وتبعني الناسك ودعا علي وقال : كما قتلت ابني البريء ظلما أدعو عليك أن تذل وتخزى ، وتصير مركبا لملك الضفادع ، وتحرم عليك الضفادع فلا تستطيع أكلها إلا ما تصدق به عليك ملكها . فأقبلت إليك لتركبني مقرا بذلك راضيا , فرغب ملك الضفادع في ركوب الأسود وظن أن ذلك شرف ورفعة ، فركب الأسود أياما ثم قال له الأسود : قد علمت أني ملعون محروم ولا أقدر على التصيُّد إلا ما تصدقت به علي فاجعل لي رزقا أعيش به . قال الملك : لعمري لا بد لك وأنت لي مركب من رزق تعيش به ، فأمر له كل يوم بضفدعين يؤخذان فيدفعان إليه . فعاش بذلك ولم يضره خضوعه للعدو الذليل ، بل انتفع بذلك وصار له معيشة ورزقا . ([1])

يصور هذا النص سنة في التأليف استقر أمرها في الحضارة الإسلامية منذ القرون الهجرية الأولى ، وهي قيام النص على ثنائية السند والمتن ، وسند هذا النص مزدوج : الأول اسم مفرد معرف (الغراب) والاخر مسند إلى فاعل جمع نكرة (زعموا) .

أما المتن فقصة تدور فيها أحداث تضطلع بها شخصيات ، أي النص بما هو حكاية .

يقوم النص من حيث الأعمال على مقطع وحيد ، قوامه عدد من المقاطع الجزئية ، ينطلق من وضع أولي من بداية النص إلى (لم يقدر على طعـــــام) وتتمثل أهميته في تقديم الشخصية (الأسود : حية عظيمة سوداء) وحالتها (كبر وهرم وعجز عن تحصيل القوت) وهو الأرضية التي سيقع استغلالها في تطوير سردية النص . ويمكن تقيمه إلى أربع مقاطع جزئية وهي :

- من (فدب) إلى (على أكله) : البلاء

[1] - ابن المقفع : كليلة ودمنة ، المطبعة الكاثوليكية بيروت 1957 ص 178 - 179

- من (انطلق) إلى (يتصدق به علي الملك) : التأكيد

- من (قال : ولم ؟) إلى (مقرا بذلك راضيا) : سر البلاء

- من (فرغب) إلى (رزقا) الانفراج

مستوى الأعمال :

والناظر بعين المحقق يرى أن البنية التي قام عليها النص هي بنية التضمين ، فقصة الأسود والناسك مضمنة في قصة الأسود مع ملك الضفادع ، وبين القصتين علاقة مزدوجة ، فإن كانت القصة المضمنة انتهت بالفشل فإن القصة الإطار انتهت بالنجاح . ومن جهة أخرى فإن القصة المضمنة جاءت في خدمة القصة الإطار التي سهلت على الأسود بلوغ النجاح في مسعاه الأساسي المتمثل في الحصول على القوت وضمان العيش .

مستوى الفواعل :

عدد الشخصيات في هذا النص قليل ،في القصة الإطار أربع شخصيات : الأسود / ضفدع / ملك الضفادع / الضفادع ، وفي القصة المضمنة أربع شخصيات أيضا : الأسود / ضفدع / الناسك / ابن الناسك .

إن النص مكا ظهر لنا في مستوى الأعمال ، برنامج اتصالي ، انطلق من وضع انفصالي بين ذات (الأسود) وموضوع (الضفادع) وآل إلى وضع اتصالي بينهما . مرسل هذا البرنامج حب العيش أو غريزة حب القاء ، والمرسل إليه : الأسود ، والساعد : الحيلة ، والمعارض : الكبر والعجز ، ويمكن تمثيل هذا البرنامج على النحو التالي :

حب العيش ـــــــــــ الأسود

الأســـود

الضفادع

الحيلة ـــــــــــ الكبر والعجز

مستوى الخطاب :

ننتقل من النص باعتباره حكاية ، تقوم فيها شخصيات بأعمال ، إلى النص باعتباره خطابا له قوانينه ، وهو صناعة يتوسل فيها الكاتب بأدوات منها :

- **الزمن** : ما هي العلاقة بين زمنية الحكاية وزمنية الخطاب في هذا النص ؟

دارت أحداث هذه القصة في (أيام) لا يفيدنا النص بعددها ، لكن بناء الحكاية يشير إلى أن المدة تستمر من عهد فتوة الأسود إلى زمن شيخوخته ، إلا أن النص ينطلق من عهد الكبر والهرم ، فزمن الحكاية خطي ، أما زمن الخطاب فإن التتابع الزمني يختل .

أساليب القص :

لئن كان العنصر الطاغي على هذا النص هو حكاية الأقوال التي تجسمت في الحوار بين الأسود / الضفدع وملك الضفادع ، فإننا لا نعدم حكاية الأفعال التي مثلها السرد ، ولا بد من الإشارة إلى قلة حكاية الأحوال ، فلا نجد الوصف إلا في حالات قليلة (غدير ماء كثير الضفادع – شبيها بالحزين الكئيب – بيت مظلم) يؤدي وظيفة كونه خادما للسرد .

أنماط الرؤية :

ندخل هذا النص من خلال راو خارج عن الحكاية هو الغراب الذي ينقل لنا قصة الأسود مع الضفادع ، وهذا الراوي يعرف الحاضر والماضي ، وينقل لنا ظواهر هذه الشخصيات كما ينقل لنا بواطنها ، وهذا يسلمنا إلى القول إن الرؤية السائدة هنا هي الرؤية من خلف .

غير أن النص إذ يتقدم بنا يحيلنا على راو آخر هو الأسود الذي يحدث ملك الضفادع ، بما وقع له مع الناسك ، ينقل لنا ما وقع له ، أما البواطن فظلت خافية عليه ما عدا باطنه هو ، فالرؤية حينئذ رؤية مصاحبة .

مستوى الدلالة :

أدبيا يوقفنا النص على ظاهرتين :

- إن الكاتب توسل بطريقة في الكتابة سائدة في عصره هي الابتداء بالسند ، لكنه رغم دلالته على التقليد ، فهو خروج عما ألفه العرب ، فالكاتب يحيل على غراب ، ويجعل المروي محكوما بفعل (زعموا) الذي يشكك في المتن ويجعل العهدة فيه على كائنات غير محددة .

- الخروج عن السنة الأدبية السائدة في جعل القصة على ألسنة الحيوان .

أما المتن فهو وإن كان يحمل في الظاهر سمات التجديد فإنه يحيل على نص قديم هندي مترجم إلى الفارسية نهل منه ابن المقفع .

سياسيا :

نحن إزاء تقويض للمراتب الطبيعية ، إلا أن عبودية الأسود ليست إلا وجها من وجوه سيادته ، وما سيادة ملك الضفادع إلا وجها من وجوه عبوديته ، إذن فهناك جدلية القوة والحيلة عند الأسود ، والهزيمة والنخوة عند ملك الضفادع .

اقتصاديا :

يصور لنا هذا النص حركية الصراع بين نوعين من القيم : قيم مادية : تجسدت في رغبة السود في الحصول على الطعام ، وقيم معنوية : تجلت في رغبة ملك الضفادع في التفاخر والتباهي ، فالوضع في البدء معقد : رجل ينتمي إلى أمة مغلوبة ، يغير انتماءه إلى الأمة الغالبة ، فالمركوب ظاهريا هو المستفيد الحقيقي ، لأنه إن أعوزته القوة فما أعوزته الحيلة . ([2])

[2] - ينظر محمد القاضي : تحليل النص السردي ، بين النظرية والتطبيق ، دار الجنوب ، تونس ط1 1997

بديع الزمان الهمذاني والقول المعجب

بديع الزمان الهمذاني : هو أبو الفضل أحمد بن الحسين أصله من همذان التي تركها عام 380هـ وعمره 22 سنة وأقام في حضرة الصاحب بن عباد زعيم أدباء عصره ، فتزود من ثماره وحسن آثاره ، ثم قصد نيسابور وفيها أملى ما يقرب من أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الإسكندري في الكدية وغيرها ، لم يصل منها إلا نيفا وخمسين مقامة فقط ، ولعل الافتخار والتزيد عمل عمله ، كما لا نفهم العدد بمعناه الحرفي .

وبـ (هراة) ألقى بديع الزمان عصى الترحال ، واتخذها دار قراره ومجمع أسبابه ، فاقتنى ضياعا فاخرة وعاش عيشة هنية راضية ، وحين بلغ أشده وأربى على الأربعين ناداه الله فلباه ، وفارق دنياه سنة 398هـ

اشتهر بديع الزمان بحافظة قوية وبسرعة الارتجال ، كان يعرف الفارسية يقول عنه الحصري وقد ذكر اسمه (البديع) : « هذا اسم وافق مسماه ، ولفظ طابق معناه ، كلامه غض المكاسر أنيق الجواهر ، يكاد الهواء يسرقه لطفا والهوى يعشقه ظرفا » . ([1])

يعتمد الهمذاني في تصنيعه على السجع القصير ، وكان يعتمد في أغلب الأحيان على الجناس ومراعاة النظير بين ألفاظه وكلماته كقوله في مناسبة ميلاد طفل : « حبذا سماء أطلعت فرقدا ، وغابة أبرزت أسدا » . ([2])

المقامات ضرب من الصناعة:

المقامة ضرب جديد من الكتابة ابتكره بديع الزمان ، وهي نوع من القصص القصيرة ، تحفل بالحركة التمثيلية ، وفيها تدور المحاورة بين شخصين سمي احدهما أبا الفتح الإسكندري ، وهو من الأدباء السيارين أو المكدين السائلين ، يطوف من مكان إلى مكان يستجدي الناس بفصاحته وبيانه ، يتقابل دائما مع راو له يحكي أخباره وهو عيسى بن هشام . ومن معاني المقامة : المجلس ، وفي أخبار

---

[1] - زهر الآداب للحصري ج1 ص 307 نقلا عن شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 10 ص 240

[2] - رسائل بديع الزمان ص 515 نقلا عن شوقي ضيف : المرجع نفسه ص 241

الهمذاني أنه كان يختم مقامه أو مجلسه في نيسابور بقصة من هذه القصص ، ولعله من أجل ذلك اختار لها اسم المقامات .

قيل أن الهمذاني ألف هذه المقامات يعارض فيها أحاديث ابن دريد المتوفى عام 391 هـ ، لكن الملاحظ أن أحاديث ابن دريد تخالف مقامات الهمذاني في موضوعاتها ، فأحاديث الأول تدور حول حكايات عربية قديمة ، للتاريخ وقصص الحب فيها نصيب ، بينما مقامات الثاني قصص تدور حول التسول والكدية (الحيلة) رغم أن العلاقة بين العملين موجودة وواضحة ، والغاية واحدة وهي تعليم اللغة للناشئة .

وبجانب عنايته باللفظ الغريب في المقامات ، نجده يعنى بتضمين مقاماته أشعارا كثيرة وبكثرة الاقتباس من القرآن الكريم وحشد بعض الأمثال ، وغاية ما في الأمر أنه وجد في هذه المرحلة التي أخذت تتحول فيها صناعة النثر العربي من مذهب التصنيع إلى مذهب التصنع .

ونختار من بين مقاماته للتحليل نص المقامة الخمرية :

حدثنا عيسى بن هشام قال : اتفق لي في عنفوان الشبيبة خلق سجيح ورأي صحيح ، فعدلت ميزان عقلي ، وعدلت بين جدي وهزلي ، واتخذت إخوانا للمقة وآخرين للنفقة ، وجعلت النهار للناس والليل للكاس .

قال : واجتمع إلي في بعض ليالي إخوان الخلوة ، ذوو المعاني الحلوة ، فما زلنا نتعاطى نجوم الأقداح حتى نفد ما معنا من الراح .

قال : واجتمع رأي الندمان على فصد الدنان فأسلنا نفسها ، وبقيت كالصدف بلا در أو المصر بلا حر .

قال : ولما مستنا حالنا تلك دعتنا دواعي الشطارة إلى حان الخمارة ن والليل أخضر الديباج مغتلم الأمواج ، فلما أخذنا في السبح ثوب منادي الصبح ، فخنس شيطان الصبوة وتبادرنا إلى الدعوة ، وقمنا وراء الإمام قيام البررة الكرام ، بوقار وسكينة وحركات موزونة ، فلكل بضاعة وقت ولكل صناعة سمت . وإمامنا يجد في خفضه ورفعه ويدعونا بإطالته إلى صفعه . حتى إذا راجع بصيرته ورفع بالسلام عقيرته ، تربع في ركن محرابه وأقبل بوجهه على أصحابه ، وجعل يطيل إطراقه ويديم استنشاقه ن ثم قال : أيها الناس من خلط في سيرته وابتلي بقاذورته ، فليسعه ديماسه دون أن

تنجسنا أنفاسه ، إني لأجد منذ اليوم ريح أم الكبائر من بعض القوم ، فما جزاء من بات صريع الطاغوت ثم ابتكر إلى هذه البيوت التي أذن الله أن ترفع وبدابر هؤلاء أن يقطع ، وأشار إلينا ، فتألبت الجماعة علينا حتى مزقت الأردية ودميت القفية ، وحتى أقسمنا لهم لا عدنا وأفلتنا من بينهم وما كدنا ، وكلنا مغتفر للسلامة مثل هذه الآفة ، وسألنا من مر بنا من الصبية عن إمام تلك القرية ، فقالوا : الرجل التقي أبو الفتح الإسكندري ، فقلنا : سبحان الله ربما أبصر عميت وآمن عفريت ، والحمد لله لقد أسرع في أوبته ولا حرمنا الله مثل توبته ، وجعلنا بقية يومنا نعجب من نسكه ، مع ما كنا نعلم من فسقه .

قال ولما حشرج النهار أو كاد ، نظرنا فإذا برايات الحانات أمثال النجوم في الليل البهيم ، فتهادينا بها السراء وتباشرنا بليلة غراء ، ووصلنا إلى أفخمها بابا واضخمها كلابا ، وقد جعلنا الدينار إماما والاستهتار لزاما ، فدفعنا إلى ذات شكل ودل ووشاح منحل ، إذا قتلت ألحاظها أحيت ألفاظها ، فأحسنت تلقينا وأسرعت تقبل رؤوسنا وأيدينا ، وأسرع من معها من العلوج إلى حط الرحال والسروج ، وسألناها عن خمرها فقالت :

خمر كريقي في العذو بة واللذاذة والحلاوه

تذر الحليم ومـا عليـ ـه لحلمه أدنى طلاوه

كأنما اعتصرها من خدي أجداد جدي ، وسربلوها من القار بمثل هجري وصدي ، وديعة الدهور وخبيئة جيب السرور ، وما زالت تتوارثها الأخبار ويأخذ منها الليل والنهار ، حتى لم يبق إلا أرج وشعاع ووهج لذاع ، ريحانة النفس وضرة الشمس ، فتاة البرق عجوز الملق ، كاللهب في العروق وكبرد النسيم في الحلوق ، مصباح الفكر وترياق سم الدهر ، بمثلها عزر الميت فانتشر ودووي الأكمه فأبصر ، قلنا : هذه الضالة وأبيك فمن المطرب في ناديك ؟ ولعلها تشعشع للشرب بريقك العذب ، قالت : إن لي شيخا ظريف الطبع طريف المجون ، مر بي يوم الحد في دير المربد ، فسارني حتى سرني ، فوقعت الخلطة وتكررت الغبطة ، وذكر لي مو وفور عرضه وشرف قومه في أرضه ، ما عطف به ودي وحظي به عندي ، وسيكون لكم به أنس وعليه حرص ، قال : ودعت بشيخها فإذا هو إسكندرينا أبو الفتح ، فقلت : يا أبا الفتح ، والله كأنما نظر إليك ونطق على لسانك الذي يقول :

كـــان لي فيما مضى عقـ ـل وديـــــــن واستقامه

ثم قـــــد بعنا بحمد اللـ ـه فقــها بحجامـــــــــــه

ولئـــــــــن عشنا قليلا نســأل الله السلامـــــــه

قال : فنخر نخرة المعجب وصاح وزمهر وضحك حتى قهقه ثم قال : ألمثلي يقال ، أو بمثلي تضرب الأمثال ؟

دع مـــــــن اللوم ولكن أي دكاك ترانـــــــــي

أنا مـــــــــن يعرفه كـ ـل تهام ويمانـــــــــي

أنا مـــــــــن كل غبار أنا من كـــــــل مكان

ساعة ألزم محـــــــــرا با وأخرى بيت حـــــان

وكذا يفعل مـــــــن يعـ قل في هذا الزمـــــان

قال عيسى بن هشام ، فاستعذت بالله من مثل حاله ، وعجبت لقعود الرزق عن أمثاله ، وطبنا معه أسبوعنا ذلك ورحلنا عنه . ([3])

تقوم هذه المقامة في مستوى الأعمال على مقطعين سرديين تامين :

1 – من البداية إلى (نعلم من فسقه) : صرعى الطاغوت .

تدور أحداث هذا المقطع حول عصابة ، يسوقها طلب الخمرة ’لى المسجد ، فيؤلب الإمام على أصحابها المصلين ، فإذا غادرت الجماعة المسجد علموا أن الإمام هو أبو الفتح الإسكندري ، ويتضمن هذا المقطع خمسة مقاطع جزئية هي :

1-1 من البداية إلى (الليل للكاس)

2-1 من (واجتمع إلي) إلى (مغتلم الأمواج) : طلب الخمرة

1- 3 من (فلما أخذنا) إلى (صفعه) : الصلاة

[3] - بديع الزمان الهمذاني : المقامات شرح محمد محي الدين عبد الحميد دار الكتب العلمية بيروت د . ت ص 415 - 437

4-1 من (حتى إذا راجع) إلى (مثل هذه الآفة) : العقاب

5-1 من (سألنا من مر بنا) إلى (فسقه) : انكشاف سرالإمام

2- من (ولما حشرج) إلى (رحلنا عنه) : الإمام الماجن

ومدار أحداث هذا المقطع على عودة الجماعة إلى معاقرة الخمرة في إحدى الحانات ، حيث عثروا على إمامهم وقد خلع العذار وأقبل على معاقرة الخمرة ، وفيه خمسة مقاطع جزئية أيضا هي :

1-2 من (ولما حشرج) إلى (الرحال والسروج) : الذهاب إلى الحانة

2-2 من (سألناها) إلى (وأبيك) : صفة الخمرة

3-2 من (فمن المطرب ؟) إلى (وعليه حرص) : حكاية المغني

4-2 من (ودعت بشيخها) إلى (في هذا الزمان) : انكشاف حقيقة المغني

5-2 من (قال عيسى بن هشام) إلى (رحلنا عنه) : طيب المقام

يقدم لنا النص تسع شخصيات هي : عيسى بن هشام / إخوان المقة / إخوان النفقة / منادي الصبح (المؤذن) / أبو الفتح الإسكندري (إماما ومطربا) / المصلون / الصبية / القينة / العلوج ، ويمكننا أن نصنف الشخصيات بحسب التعريف والتنكير ، والعدد والحضور والغياب والنماء والجمود والأهمية .

البرامج السردية :

في النص برنامجان سرديان رئيسيان : أولهما انفصالي وثانيهما اتصالي ، النهار اتصال بالجد وانفصال عن الهزل ، والليل اتصال بالهزل وانفصال عن الجد ، إلى جانب الأهمية للعامل الزمني في المراوحة بين الحالات .

مستوى الخطاب :

تحدثنا المقامة عن مغامرتين في ليلتين متتاليتين : ليلة في بيت عيسى بن هشام ومسجد أبي الفتح الإسكندري ، والليلة الثانية في الحان ، والظاهر أن الراوي في هذه المقامة لم يغير ترتيب الأحداث المكونة للحكاية ، بل راعى نظامها في الخطاب ، فبدأ بالحديث عن عادة الشبيبة ، فليلة الخمر فصبح

الصلاة فليلة الحان فالأسبوع ، رغم ما تخللته من حالات استباق وارتداد (أقسمنا لهم لا عدنا – لقد أسرع في أوبته – مع ما كنا نعلم من فسقه ...) .

أساليب القص :

يقوم النص على مراوحة بين أسلوبي السرد والحوار، تخفي علاقة بينهما تتمثل في احتواء السرد على شذرات من الحوار ، واحتواء الحوار على مقاطع سردية ن والملاحظ أن الوصف يتخلل السرد والحوار معا ، وكانه عنصر جامع بينهما ، إذ أن صفة الخمرة جاءت في مقطع حواري وفي شكل سردي (اعتصرها من خدي أجداد جدي – وسربلوها من القار بمثل هجري وصدي) وهذا جانب من جوانب الأدبية في المقامة .

أنماط الرؤية :

جاءت المقامة من خلال راو هو عيسى بن هشام ، شارك في أحداث النص ، فهو راو مندرج في الحكاية ، لهذا كانت الرؤية المسيطرة على النص هي الرؤية المصاحبة .

مستوى الدلالة :

أدبيا :

المقامة مشدودة إلى سنة أدبية هي (الخبر) لذا توسلت بالسند ، وجاءت مازجة بين الشعر والنثر ، دالة بذلك على خضوعها لمألوف الإبداع ، وهذا الشعر مصنوع صنعه الهمذاني للإيفاء بحاجة الموقف ، فالمقامة تبدأ بإيهامنا بأنها تنقل لنا الواقع ، بينما هي جنس أدبي قد ابتدعه بديع الزمان لا ليقدم به الواقع بل ليحاكيه ، لذلك رأينا صاحبه يحفل بالقول المعجب .

اجتماعيا :

تقدم لنا المقامة شخصيتين مزدوجتي السلوك هما : عيسى بن هشام وأبي الفتح الإسكندري ، فعيسى بن هشام وإن كان موقفه قائما على شيء من النفاق ، إذ هو يعاقر اللذة بأنواعها ليلا ويمتثل لقيم الجماعة نهارا ، فإن هذا السلوك يبدو عاديا مـــــن حيث هو متصل بـ (عنفوان الشبيبة) وهو عهد الجموح والتنطع ، أما أبو الفتح الإسكندري فقد مضى عليه زمن وهو مغرق في العمى والفسق ، ثم ظهر لنا إماما متشددا مغرقا في النسك ، فلما ثبتت صورته تلك ، ظهر في صورة أخرى

مطربا طريف المجون ، كل هذا وهو شيخ ، فإذا كان ابن هشام مثالا لاستقرار قيم الجماعة (وإذا ابتليتم فاستتروا) فإن أبا الفتح مثال لاهتزازها وانقلابها .

دينيا :

يطالعنا النص بمعجمين متقابلين : معجم الورع ومعجم المجون ، يمكن استخراجها من النص بسهولة .

اقتصاديا :

تقسيم الإخوان إلى جماعتين : جماعة للمقة (المحبة) وجماعة للنفقة ، وهذا التقسيم يضعنا إزاء علاقة تكامل بين الروح والمادة ، فابن هشام مضطر إلى الجمع بين الصنفين بين(الخمرة والصلاة)

فلسفيا :

كلمة عقل التي وردت على لسان ابن هشام (كان لي في ما مضى عقل ودين واستقامة) أما حين وردت على لسان أبي الفتح فقد اتصلت بتغير الزمان (من يعقل في هذا الزمان) وفي هذا إشارة إلى أن العقل قد تغير معناه وتبدل دوره ، فالعصر متغير وهذا التغير يكتسح القيم جميعا بما في ذلك العقل . ([4])

[4] - تحليل النص السردي ، بين النظرية والتطبيق ، دار الجنوب للنشر ، تونس ، ط1 1997 ص 121 - 147

الجاحظ رجل أدب وعلم

قضى الجاحظ حياته بين الكتب يطالع ويؤلف ، وقد استوعب حضارة عصر بكامله ، بل حـــوى في صدره ثقافة الشعوب القديمة من أعاجم وعـرب ، وكانت مؤلفاته موسوعة علمية أدبية ، وكانت كتابته مـدرسة مـن مدارس الإنشاء العـربي ، وأسلوبه العلمي منهاجا للدراسات والتحـــــري ، وقد أراد أن يكون علمه وكتابته للحيـــاة وللمجتمع في مطلق حياته ، فوسمها بسمة الظرف والفكاهة ، والتنـقل من موضـــوع إلى آخر في خفة ولين .

ثم إن تجدد أفق التلقي الأدبي في العصر الحديث ، والتحول في النظر إلى الإبداع الأدبي بمعايير مختلفة ، سيسهم بلا شك في الكشف عن أبعـــــاد جديدة في أدب الجاحظ ، وسيبرز مكـــــونات وسمات ظلت محجـوبة عن القـــراءات القديمة ، وسيظل أدب الجاحظ ينجلي عن معـــان عميقة وقيم سامية ، كلما تواصل معه القـــراء ، وتجددت آفاق التقي وأسئلة القراءة وأدوات التحليل ومعايير التقييم .

لقد تراوحت مواقف النقاد القدامي من نثر الجاحظ ، بين الإعجاب ببلاغته والإشادة بقيمتها ، وبين السعي إلى الغمز في سماتها والتهوين من مكانتها بمـعايير متباينة ، ولكنه في وقت مبكر من عصرنا الحديث ، بدأت بلاغة الجاحظ من جديد تتشكل موضوعا للمناقشة وإبداء الرأي .

التعريف بالجاحظ في سطور :

- عادة ما يختلف الدارسون في سنة الـــولادة (150هـ -165هـ) ولكنهم يتفقون على سنة وفاة الجاحظ عام 255هـ في المدينة التي ولد بها أي البصرة .

- امتدت حياة الجاحظ على الطـور الأول من العصر العبـــــاسي ومطلع الطور الثاني ، هذه الحقبة من تاريخ العـــرب ، هي أزهى الحقب وأخصبها عطاء ، لأنهم استطاعوا فيها أن يقطعوا أشـــــواطا بعيدة في مضمار الـرقي ، وان يبنوا حضارة عريقة ، وأن ينجبوا نوابغ في العلوم والآداب والفلسفة .

- اتصل الجاحظ بالمأمون الخليفة العباسي (198هـ/218هـ) وقبل هذا التـــاريخ كان الجاحظ بعيدا عن قصر الخـــلافة في بغداد ن يعيش في البصرة منصرفا إلى تحصيل العلم وكسب الرزق

، مغمورا يحـــاول شق طريقه في عالم التأليف والفكر والأدب ، دون أن تلقى مؤلفاته رواجا، ليبدأ عهده في بغـــداد عهد العطاء والغنى والشهرة ، ويحظى بالرعاية من السلطة ، ويطلع عن كثب على ما يجـري في أروقة الخلافة من مناظرات ولقـــاءات وأحاديث ، ورسم في كتبه صورة دقيقة عن ذلك الخليفة العظيم .

- ما يلفت النظر في عهد الخليفة المعتصم بالنسبة إلى الجاحظ هـــو علاقته بأحد الوزراء محمد بن عبد الملك الزيات الذي ترك أثـرا عظيما بنتاجه في اللغة والأدب ، فقربه وتوثقت علاقته به ، وأجازه مالا وفيرا على تآليفه وخاصة كتاب الحيوان .

- كان الجاحظ معتزليا ، مكانته عـــالية وعقيدته محترمة في عهد الخليفة الواثق (228هـ) وفي كنف قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد وكان معتزليا وقد أهـــداه الجاحظ كتاب (البيان والتبيين) ، لكن الحـــال تغيرت ، وتسلم المتوكل سدة الحكم سنة 232هـ وأحدث انقلابا في سياسة الدولة ، فضيق على الشيعة ، وأبعـد المعتزلة وقرب أهل السنة والجماعة ، وأقصي الجاحظ من قصر الخـــلافة ، لكنه وجد السند متمثلا بشخص الفتح بن خاقان وكان أديبا ذكيا مهتم بالكتب شغـــوفا بمطالعتها ، وأهداه الجاحظ كتاب (مناقب الترك وعامة جند الخلافة) باعتباره من أصل تركي .

- عندما رأى الجاحظ نجم الخـــلافة يميل إلى الأفول بعد الخليفة المتوكل ، وأحس ببوادر الضعف تسري في عروقها ، آثر أن يبتعد عن العاصمة بغداد ، فتركها قبـل مقتل المتوكل سنة 247هـ ، وعاد إلى مسقط رأسه البصرة ، تمكن من خلالها إكمال كتاب (الحيوان) الذي بـــدأه في عهد المعتصم ، كما أتـم تصنيف كتاب (البيان والتبيين) الذي شرع فيه في عهد المتوكل .وتوفي بالبصـــرة مصابا بمرضين هما الفالج (داء يحدث في أحـــد شقي البدن فيبطل حركته وحركته) والنقرس (ورم يحدث في مفاصل القدم وفي إبهامها أكثر) .([1])

[1]- علي أبو ملحم : علاقة آثار الجاحظ بشخصه وعصره ضمن رسائل الجاحظ دار مكتبة الهلال ط1 1987 ص ص 7 – 36 بتصرف

أشهر كتب الجاحظ :

- البيان والتبيين :

هو مصدر مـــن مصادر الأدب العـربي ، ومصنف من المصنفات الأساسية في تاريخ البلاغة العربية ، يضم في طياته مـــــادة أدبية غـــــزيرة متنوعة (شعر- خطب- وصايا - أخبار ونوادر – مواعظ وقصص) ويتخلل هـــذه المادة فيض مـــن آراء الجاحظ البـــــلاغية والنقدية ، وآراء سائر البلغاء ممن عاصروه أو عاشوا قبله ، ومما ترجم عن الفرس والهند واليونان .

- الحيوان :

سبق اليونانيون أسلافنَا العـــرب إلى التأليف في علم الحيـــوان ، وفضل الجاحظ على جميع من سبقه أو عاصـــره ممن كتب في الحيـوان هو أن كتابه ينطق بالقصد العلمي التفصيلي للحيـــوان جميعا ، ولكل مملكة من ممالكه ، ولكل جنس من أجناسه ، وإن أعوزه بعض الترتيب والتهذيب ، وذلك شأن كل كتابة جديدة في أمـر متشعب الأطراف ، واعتمد في تأليف كـــتابه (الحيوان) على :

- الينبوع الذي لا ينضب من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

- الشعر العربي ، وعليه كان أكثر اعتماده .

- كتاب الحيوان لأرسطو الذي يلقبه الجاحظ بصاحب المنطق .

- الخبرة الشخصية والشغف الذي كان يدفع الجاحظ إلى السؤال ممن يتوسم فيه العلم .

- الرسائل :

ألف الجاحظ خمسا وأربعين رسـالة في أزمنة مختلفة ، جمعها عبد السلام هارون، ويتطـــــرق في هذه الرسائل إلى موضوعات الأدب في مفهومه الإنساني العـام ، كرسالة (المعاش والمعاد أو الآداب) ، وإلى موضوعات اجتمـاعية سياسية متصلة بقضايا عصره ، تتعلق بقضية الخـــلافة والإمامة ، وبقضايا الأجناس والأعراف ، وهي تشبه من هذه الناحية أدب المقال في العصور الحديثة .

- البخلاء :

يعرض فيه قصصا وروايات متتابعة من غـــير ترتيب فني يكون وحدة تأليفية ، وليست غاية الجاحظ في كتابه الهجاء لمجرد الهجاء ، ولكنه يـــرمي إلى الإصلاح والاقتصاد ، وبخلاؤه أحياء يضطربون في جو واسع من الحـــركة والخفة والظرف ، ويمكن إجـــــراء مقـارنة بين (البخلاء) للجاحظ و (البخـــــــيل) للكاتب الفرنسي(موليير) . ([1])

النزعة العقلية عند الجاحظ :

رفع الجاحظ ، شأنه في ذلك شأن المعتزلة ، من منزلة العقل ، وعده ميزة ميز الله بها الإنسان على سائر المخلوقات ، وفضيلة كرمه بها . والعقـــل أداة المعـــرفة ، ووسيلة الإنسان إلى إدراك الظواهر الطبيعية وفهم أحـــــــوال الاجتماع الإنساني والأخلاق والقيم وبيان حكمة الخالق في خلقه .

والعقل كما يقول الغزالي :« منبع العلم ومطلعه وأساسه ، والعلم يجـــري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين ، فكيف لا يشـــــرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة ؟ » . ([2])

وإليك نصا يبين فيه الجاحظ حاجة العقل إلى الشحذ :

« والعقلُ حفظك الله أطولُ رقدةً من العين ، وأحوج إلى الشحْذ من السيف ، وأفقر إلى التعهد وأسرع إلى التغير ، وأدواؤه أقتل وأطباؤه أقل وعلاجه اعضل . فمن تداركه قبل التفاقم أدرك حاجته ، ومن رامه بعد التفاقم لم يدرك شيئا مـــن حاجته . ومن أكبر أسباب العلم كثرة الخواطر ثم معرفة وجوه المطالب . ثم في الخـــــواطر الغث والسمين والفاسد والصحيح والمسرع إليك والبطيء عنك والدقيق الذي لا يكـــاد يفهم والجليل الذي لا يلقى الفهم ، ثم هي على طبقاتها في التقديـم والتأخير ، وعلى منازلها في التباين والتمييز . والمطالب طرقٌ ، ولدرك الحقائق

---

[1]- علي أبو ملحم : المرجع نفسه ص ص 7 - 37

[2] - أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين دار القلم بيروت ج1 ص 71

أبواب ، فمن أخطأها وانتظر كان أسوأ حـــالا ممن لم يخطئها ولم ينتظر ، وعلى قدر صحة العقل يصح الخاطر ، وعلى قـــدر التفرغ يكون التنبُّهُ . هذا جماعُ هذا الباب وجمهورُه وأقسامُه وجملتُه ، ثم من أنفع أسبابه الحفظُ لما قد حُصِّلَ والتقييد لما ورد والانتظـــار لما لم يرد ، وأن لا تُخْلِيَ نفسك من الفكـــرة إلا بقدر جَمام الطبيعة ، وأن تعلم أن مكان الدرس من الحفظ كمكان الحفظ من العلم ، وأن تعـــرف فصل ما بين طلب العلم للمنافسة والشهرة وبين طلبه للرغبة والرهبة ، وأن تعلم أن العلم لا يجـــود بمكنونه ولا يسمح بسره ومخزونه إلا لمن رغب فيه لكـــرم عنصره وفضَّله لحقيقة جوهره ، ورفعه عن التكسب وصانه من التبذل ، وأنه لا يعطيك خالصَ الحكمة حـتى تعطيَه خالص المحبة . وكان يقال : من شاب شيب له ، وخصلةٌ ينبغي أن تعـرفها وتقف عندها ، وهي أن تبدأ من العلوم بالمهم ، وأن تختار مـــن صنوفه ما أنت أنشطُ له والطبيعةُ به أعنى ، فإن القبول على قدر النشاط والبلوغ فيه على قـــدر العناية . ثم من أفضل أسبابه تخليصُ أخلاقه وتمييزُ أجناسه والمعرفةُ بأقداره ن حتى تعطي كل معنى حقه من التقريب والرفعة ، وقسطه من الإبعـــاد والضِّعة حتى لا تتشاغلَ إلا بالسمين الثمين وبالخطير النفيس ، ولا تُلقِي إلا الغثَّ الخسيسَ والحـــقيرَ السخيفَ ، فإنك متى كنت كذلك لم تعتبر فضل ما بين النظـــرين ولا صَرْفَ ما بين النعتين ، والكَيِّسُ كل الكيس والحِذْقُ كل الحذق أن لا تعجِّلَ ولا تبطئ ، وأن تعلم أن الســرعة غيرُ العجلة ، وأن الأناة خِلافُ الإبطاء ، وأن تكون على يقين من أن درك الحق إذا وفَّيْته شرطَه وعلى ثقة من ثواب النظر إذا أعطيته حقه »([1]).

لفهم هذا النص وتحليله نسعى إلى الإجابة على ما يلي :

- اشرح الكلمات الواردة في النص : الشحذ – أعضل – التفاقم – مكنونه – شاب – صرف – الكيس ، حسب السياق الواردة فيه ، وإعطاء أمـثلة توضيحية على ذلك .

- حدد الطرفين الحجاجيين في هـــــذا النص ، والأطروحة المقدمة ومدعماتها الحجاجية .

- الروابط الحجاجية في هذا النص كثيرة ، استخـرجها وبين أثرها في دعم الحجج .

[1]- الجاحظ : الرسائل ، تح / عبد السلام هارون ج3 ص 104-106

استعن بهذه الخطاطة للإجابة عن السؤالين :

الطرفان الحجاجيان

الطرف الأول ـــــــــــــــــــــــ الطرف الثاني

البنية الحجاجية

الأطروحة المدعومة ـــ> قانون العبور <ـــ الأطروحة المضادة

المدعمات : الحجج

الحجة 1 الحجة 2 الحجة 3 الحجة4 ...

من الروابط الحجاجية والأساليب

- الروابط : لكن ، بل ، حتى ، حروف التعليل ، تركيب الحصر ، التكرار ...
- الأساليب : الشرط ، الاستفهام ، الأمر ، التعجب ، التمني ، الدعاء ، الإثبات ...

- استخرج بعض العبارات والأساليب التي تدل على أن الخطاب تعليمي .

- قدم الجاحظ برنامجا في طلب العلم ، ماهو هذا البرنامج ؟ وما خصائصه ؟

- ما العلاقـة بين العلم والعقل في نظـــــر الجاحظ ؟ وما هي شروط تحقق هذه العلاقة ؟

- عقد الجاحظ عـــــلاقة بين العلم وطالبه . ما الخصال التي يجب أن يتحلى بها الطالب كي يستجيب له العلم ؟

- يشترط البلاغيون في السجع عدم التكلف حتى لا يذهب التكلف بشرف المعنى ، إلى أي مدى حقق الجاحظ هذا الشرط .

والنموذج الثاني نأخذه من كتاب (الحيوان) يبين في أهمية اللغـة ، وما تحويه من بيان هي أقوى رابطة بين الكائنات الحية ، فللطير والنمل منطقها وللإنسان منطقه ، إذ مدار البيان عند الجاحظ الفـهم والإفهام ، فللـغة وظـيفة مرتبطة بالحـاجة . يقول الجاحظ :

« ولها منطق تتفاهم به حاجاتِ بعضها إلى بعض ، ولا حاجة بها إلى أن يكون لها في منطقها فضلٌ لا تحـــتاج إلى استعماله . وكذلك معانيها في مقادير حاجتها . وقيل لرجل من الحكماء : متى عقَلتَ ؟ قـــال : ساعة ولدتُ . فلما رأى إنكارهم لكلامه قال : أمَّا أنا فقد بكيْت حين خفتُ ، وطلبت الأكـــل حين جعت ، وطلبت الثدي حين احتجت ، وسكتُّ حين أعطِيتُ ، ومن عـرف مقادير حاجاته إذا مُنِعها وإذا أُعْطِيَها فلا حاجة به في ذلك الوقت إلى أكثر من ذلك العقل . ولذلك قال الأعرابي :

سقى الله أرضا يعلم الضَّب أنها بعيدٌ مـــن الآفـــات طيِّبةُ البقْلِ

بنى بيته منها على رأس كُـديـــةٍ وكلُّ امرئٍ في حرفة العيش ذو عقلِ

فإن قال قائل : ليس هذا بمنطق ، قيل له : أما القـــــرآن فقد نطق بأنه منطق ، والأشعار قد جعلته منطقا ، وكذلك كلام العرب . فإن كنت إنما أخـــرجته من حد البيان ، وزعمت انه ليس بمنطق لأنك لم تفهم عنه ، فأنت أيضا لا تفهم كلام عامة الأمم ، وأنت إن سميت كلامهم رطانة وطمطمة فإنك لا تمتنع من أن يـزعم أن ذلك كلامهم ومنطقهم . وعامة الأمم أيضا لا يفهمون كلامك ومنطقك ، فجـــائز لهم أن يخرجوا كلامك من البيان والمنطق . وهل صـــار ذلك الكلام منهم بيانا ومنطقا إلا لتفاهمهم حاجة بعضهم إلى بعض ، ولأن ذلك كان صوتا مؤلفا خـــرج من لسـان وفم ؟! فهلا كانت أصـــوات أجناس الطير والوحش والبهائم بيانا ومنطقا ، إذ قد علمتَ أنها مقطعةٌ مصورة ، ومؤلفة منظمة ، و بها تفاهموا الحاجات وخـرجت من فم ولسان . فإن كنت لا تفهم من ذلك إلا البعض ، فكذلك تلك الأجناس لا تفهم من كلامك إلا البعض. وتلك الأقدار من الأصوات المؤلفة هي نهاية حاجاتها والبيـان ، وكذلك أصواتك المؤلفة هي نهـاية حاجاتك وبيانك عنها ، وعلى أنـــك تُعلِّم الطيرَ فتتعلم ، وكذلك يُعلَّم الإنسانُ الكلامَ فيتكلم ، كتعليم الصبي والأعجمي ، والفرق بين الإنسان والطير أن ذلك المعنى معنىً يسمى منطقا وكلاما على التشبيه بالناس .

وكذلك قال الشاعر الذي وصفها بالعقل ، وإنما قال ذلك على التشبيه ، فليس للشاعر إطلاق هذا الكلام لها ، وليس لك أن تمنعها ذلك من كل جهـــة وفي كل حال . فافهم فهَّمك الله ، فإن الله قد أمرك بالتفكِّر والاعتبار والتعرُّف والاتعاظ .

وقد قال الله عز وجل مخبرا عن سليمان : « يأيها الناس علمنا منطق الطير » فجعل ذلك منطقا ، وخص الله سليمان بأن فهمه معاني ذلك المنطق وأقامه فيه مقام الطير ، وكذلك لو قال علمنا منطق البهائم والسباع لكان ذلك آية وعلامة .

وقد علم الله إسماعيل منطق العرب بعد أن كان ابنَ عشرةَ سنةً ، فلما كان ذلك على غير التلقين والتأديب والاعتياد والمنشأ صار ذلك برهانا ودلالة وأعجوبة وآية . ([1])

شرح الكلمات :

الرطانة : التكلم بالعَجْمِيَّة ، الطمطمة : العُجْمة

بغية فهم هذا النص وتحليله نورد جملة من الأسئلة كالتالي :

- حدد نمط الحوار في هذا النص بدراسة العلاقة بين المتحاورين ، معتمدا العبارات الدالة على ذلك .

- تقوم سيرورة الحجاج على مقارنة بين منطق الإنسان ومنطق الطير ، هل ساعدت المحاج على دحض مقالة الطرف المعارض ؟

- ما صلة الفقرة الثانية « وقيل لرجل من الحكماء ... » الواردة في النص ، هل تراها ساعدت المحاج على إقناع خصمه ؟

- ربط الجاحظ (المنطق والكلام والبيان) بالفهم والتفهُّم ، توسع في هذه الفكرة مبينا حاجة الإنسان إلى معرفة لغة الآخر .

- تنوعت الحجج في هذا النص من الحجة بالشاهد والحجة بالقياس والحجة بالمثال أبرزها ورتبها حسب السلم الحجاجي .

أما النموذج الثالث والأخير : فنختاره من كتـــاب (البيان والتبيين) لقد تنوعت تعريفات الجاحظ للبلاغة ، وتعددت مصـادرها ، فقد كشف في مـــواطن كثيرة من البيان والتبيين عن استحسانه للتعريفات القائمة على إعمال العقل ، وعلى المسـاواة بين مقادير الألفاظ ومقادير

[1] - الجاحظ / الحيوان تح / عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ج7 ط2 1968ص 58-56

المعاني . وكان مبدأ مطابقة المقـــال للمقام أهــم الأسس التي بنى عليها نظريته في الكلام البليغ . يقول الجاحظ :

« قالوا : وذكر محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بلاغة بعض أهله . فقال : إني لأكره أن يكون مقدار لسانه فاضلا على مقدار علمه ، كما أكـره أن يكون مقدار علمه فاضلا على مقدار علمه .

وهذا كلام شريف نافع ، فاحفظوا لفظه وتدبروا معناه ، ثم اعلموا أن المعنى الحقيرَ الفاسدَ والدنِيَّ الساقطَ ، يعشِّش في القلب ثم يبيض ثم يفرّخ ، فإذا ضـــرب بجرانه ومكَّن لعروقه ، استفحل الفساد وبَزَلَ وتمكن الجهل وقَرَح ، فعند ذلك يقـــوى داؤه . لأن اللفظ الهجين الردِيَّ والمستكره الغبي ، أعلق باللسان وآلف للسمع ، وأشـد التحاما بالقلب من اللفظ النبيه الشريف ، والمعنى الرفيع الكريم ، ولو جالست الجهال والنوْكى والسخفاء والحمقى شهرا فقط ، لم تنق من أوضـار كلامهم وخبال معانيهم ، بمجالسة أهل البيان والعقل دهرا ، لأن الفساد أســـــرع إلى الناس ، وأشد التحاما بالطبائع . والإنسان بالتعلم والتكلف ، وبطول الاختلاف إلى العلماء ، ومدارسة كتب الحكماء ، يجـــود لفظه ويحسن أدبه ، وهو لا يحتاج في الجهل إلى أكثر من ترك التعلم ، وفي فساد البيان إلى أكثر من ترك التخَيُّر .

ومما يؤكد قول محمد بن علي بن عبد بن عباس ، قول بعض الحكماء حين قيل له : متى يكون الأدب شرا من عدمه ؟ قال : إذا كثر الأدب ونقصت القريحة .

وقال بعض الأولين : « من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه ، كان حتفه في أغلب خصال الخير عليه » وهذا كله قريب بعضه من بعض .

وذكر المغيرة بن شُعبة عمر بن الخطاب رحمه الله فقال : « كان والله أفضل من أن يَخدع ، وأعقل من أن يُخدع » .

وقال محمد بن علي بن عبد الله بن عباس : « كفاك من علم الديـــن أن تعرف ما لا يسع جهله ، وكفاك من علم الأدب أن تروي الشاهد والمثل » .

وكان عبد الرحمن بن إسحاق القاضي يروي عن جده إبراهيم بن سلمة . قال : سمعت أبا مسلم يقول : سمعت الإمام إبـــــراهيم بن محمد يقول : يكفي من حظ البلاغة أن لا يُؤْتَى السامعُ من سوء إفهام الناطـــق ، ولا يؤتى الناطق من ســـوء فهم السامع .

قال أبو عثمان : أما أنا فأستحسن هذا القول جدا ».[1]

الكلمات الصعبة في النص :

الجران : أي ما عود عليه نفسه ، فثبت واستقر .

بزل : تفشى واستفحل .

الهجين : ما شابه عيب .

النوْكَى :جمع الأنوك وهو الأحمق الجاهل العيي في كلامه .

الأوضار : جمع وضر وهو الوسخ .

القريحة : جمعه قرائح ، يقال قرح الماء صفا وعذب طعمه فهو قراح ، وقريحة الشاعر أو الكاتب ملكته يقتدر بها على الإجادة .

الأعـــــــــلام :

- المغيرة بن شعبة : صحابي ولد بالطائف قبل الهجرة ، ولاه عمر بن الخطاب على البصرة ثم الكوفة ، وأقـــره عليها عثمان بن عفان ، ولم يزل عليها إلى أن مات في خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة 50 للهجرة .

- أبو مسلم الخراساني : أحد قادة الجيوش العباسية التي انتظمت في بلاد فـارس ، أوفده إبراهيم بن محمد إلى خراسان لبثِّ دعوته بها ، فكانت له حروب مع نصر بن سيَّار ، قتله أبو جعفر المنصور سنة 136 للهجرة .

- إبراهيم بن محمد : رأس دعاة آل البيت في آخر الحكم الأموي ، وهو أخـــو أبي العباس السفاح أول خلفاء بني العباس ، دعا له أبو مسلم الخراساني في بـــــداية الدعوة ، وقبض عليه مروان بن محمد آخــر الخلفاء الأمويين وحبسه بِحرَّان ثم قتله سنة 132 للهجرة .

---

[1] - الجاحظ : البيان والتبيين تح / عبد السلام هارون دار الجيل بيروت ج1 ص ص 84 – 87

أسئلة للفهم والمناقشة :

من خلال هذه الأسئلة والإجابة عليها يمكن لك أيها الطالب (ة) أن تقارب هذا النص من بعض جوانبه :

- بني النص على رواية الشاهد وإبداء الرأي ، قطع النص معتمدا هذا المعيار .

- تبنى الجاحظ رأي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وحـــرص أن يدعمه بحجج مختلفة ، استخرج ما يـــدل على هذا الدعم ، وبين قيمتها في حمل المتلقي على إقناع .

- حدد الشروط التي بها يكتسب الإنسان تجـــويد اللفظ وإحسان الأدب في نظر الجاحظ ، وما رأيك فيها .

- ماذا يعني قول بعض الحكماء : الأدب شر من عدمه إذا كـثر الأدب ونقصت القريحة

- حلل مفهوم البلاغة في الشاهد الأخير في النص ، وعلل استحسان الجاحظ له .

مكانة الجاحظ :

يرى كثير من النقاد المعاصرين أن الجاحظ هو المعلم الأول للعقل العربي ، فمن الجانب العلمي كان رفيع المنـــــزلة بين علماء عصره ، عظيم المكانة بين المفكرين العلميين في زمنه ، كان منهاجه في العلم واسعا ، وهو في كل ما خـاض عبابه أخصائي مـاهر ومتعمق بارع ، يتناول كل ما يقع عليه الحس وتنظره العين ، وتتشوف إليه النفس . ولم يكن نظره في كل ما كان يعاينه النظر المجرد ، بل نظـر الفلسفة التي صححتها التجربة وأبرزها الامتحان وكشف عن قناعها البرهان ، لا تراه وهو يفكر فيجيد التفكير ، ويبحث فيكشف عن الحقائق إلا داعيا إلى استعمال العقل وتجويد الفكر ، لأنه مع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة . وفي التفكير شحذ للأذهـان وتنبيه لذوي الغفلة ، وتحليل لعقدة البلادة وسبب لاعتياد الرؤية كما يقول الجـاحظ . وكان يجري على أسلوب الفلاسفة والمنطقيين والعلماء والمتكلمين في قياسه يقـول : « وينظروا في العلة التي اضطرتنا إلى هذا القـــــول ، فإن كانت صحيحة ، فالصحيح لا يوجب إلا الصحيح » .

ولم يقتصر الجاحظ على ذدر البراهين النظرية ، بل استعان بالشعر والتاريخ وبما يعرف من أحداث ، وما جرب هو نفسه من تجارب , ومزج ما تعلم بما قـرأ بما سمع بما شاهد بما جرب ،

كما مزج الشعر بعلم أرسطو بطب جالينوس ، ومـــزج أقـــــوال البلغاء بآراء الطبيعيـين والدهريـــين بالنصرانية واليهودية والمانويـين والزرادشتيـين ، وهذا مـــــزاج عسير الهضم ، لولا ما خطر فيه من أسلوب سمح فضفاض ونفس مرحة .

وكان عقل الجاحظ قويا قل أن يقبل الأوهام ، بل يهزأ بمن يقبلها ، يعتمد على التجربة ويبني على ضوئها أحكامه ، ويشك ويدعـو إلى الشك حتى تثبت النظرية ، ويستغرب الإنسان اليوم من صحة منطقه وسبقه إلى نظريـــات في منهج البحث لم تعرف إلا في العصر الحديث ، كما أنه سبـــق إلى اتجاهات قيمة في سيكولوجية الحيوان ,

وأساس البحث العلمي هو سلطان العقل ، وقد استفاد الجاحظ من المعتزلة والنَّظَّام القول بسلطان العقل . يقول : « أكثر الناس سماعا أكثرهم خواطر ، وأكثرهم خواطر أكثرهم تفكرا ، وأكثرهم تفكرا أكثرهم علما ، وأكثرهم علما أرجحهم عملا ، كما أن أكثر البصراء رؤية للأعاجيب أكثرهم تجارب » .

واعتز الجاحظ بجودة العقل والمعرفة ، ومن ثم حذر من اغترار الإنسان بما ألف ، وبما يعـــــرض لقلبه بادئ الرأي ، ورأى الناس يحتاجون إلى طبيعة ثم إلى معرفة ثم إلى إنصاف ، بأن لا يعـــــطي نفسه فوق حقها ، وأن لا يضعها دون مكانتها ، وأن يتحفظ من شيئين فإن نجاته لا تتم إلا بالتحفظ منهما : أحدهما تهمة الإلـــف والآخر تهمة السابق إلى القلب .

وبهذا ينادي الجاحظ بوجوب تحرر العالم من المألوف ومن المعرفة الأولى أثناء بحثه ومحاولته الوصول إلى الحقائق . يقـــول الجاحظ : « إذا سمعت الرجل يقول : ما تـــرك الأول للآخر شيئا ، فاعلم أنه ما يريد أن يفلح » . وهو بهذا يفتح باب التجديد واسعا على مصراعيه أمام أي باحث وعالم . [1]

بإمكان الطالب (ة) إجراء موازنة بين الجاحظ وأبي حيان التوحيدي بعد إنجـــاز بطاقة قراءة لبعض نصوص التوحيدي من كتاب (الإمتاع والمؤانسة) أو كتاب (المقابسات) .

[1] - محمد عبد المنعم خفاجي : أبو عثمان الجاحظ دار الكتاب اللبناني بيروت ط1 1973 ص ص 108-106

أبو حيان التوحيدي : فيلسوف الأدباء

أبو حيان علي بن محمد التوحيدي نسبة إلى ما كان يتاجر به أبوه من تمر يسمى التوحيد ، والظاهر أن هذه التجارة لم توفر لأبيه ما يجنبه غوائل الفقر ورقة الحال ، وهناك غموض يكتنف تاريخ ميلاده ومسقط رأسه وأصله وطفولته ، ولكن بعض الباحثين يرجح أنه ولد بشيراز سنة 312هـ على أقصى تقدير ، وأنه من أصل عربي ، عاش طفولة بائسة معذبة ، نشأ ببغداد في كنف عمه الذي لم يحسن معاملته ولا تربيته ، ولكنه أقبل على العلم والتحصيل شطرا كبيرا من حياته .

اتيح للتوحيدي أن يتصل بالوزراء والوجهاء ، وطمع من وراء ذلك إلى الرفع من المنزلة الاجتماعية ، وإلى إدراك شيء من رفاهية العيش ، غير لأن عوامل الحسد والفتن السياسية زمن الدولة البويهية لم تسمح بطول الإقامة بين هؤلاء الوجهاء ، وكثيرا ما كان يخيب فينكفئ على نفسه أو يسترسل في صحبة الزهاد والمتصوفة .[1]

عاد أبو حيان إلى بغداد سنة 370هـ فعرف أسعد أيامه حين تولى ابن سعدان الوزارة ، فعقد أبو الوفاء المهندس الصلة بين صديقه الوزير وصديقه أبي حيان ، حتى صار من حاشيته وخلصائه وأبرز مستشاريه ، وفي هذه الفترة طالب أبو الوفاء أبا حيان بإفادته بما كان يدور من أحاديث بينه وبين الوزير ، على أن يكون ذلك مدونا مفصلا فكان كتاب « الإمتاع والمؤانسة » .

اغتيل ابن سعدان سنة 375هـ وتقدمت السن بأبي حيان واضطربت حالته النفسية حتى أنه أقدم سنة 400هـ على إحراق مجموعة من كتبه ، ويبدو أنه استقر في أخريات حياته بشيراز ، وقد شمل الغموض هذه الفترة من حياته .

من آثاره :

ـ الإمتاع والمؤانسة :

ولهذا الكتاب أهمية بالغة ، فهو يكشف عن جوانب من حياة كاتبه ، كما يلقي أضواء على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في عصر المؤلف ، ويدل على النضج الذي أدركه العقل العربي الإسلامي في القرن الرابع للهجرة .ومنه نختار نصا للدراسة والتحليل .

---

[1] - أحمد محمد الحوفي : أبو حيان التوحيدي ، مكتبة نهضة مصر ط2 د . ت ص 377 - 386

ـ الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية :

ألفه التوحيدي فيما يبدو بعدما تجاوز السبعين من عمره ، وهو يصور التجربة الروحية التي مر بها في أخريات حياته ، كما يظهر استسلامه لقضاء الله وقدره وإلى حكم الله وإيمانه المطلق بعدله ، بعد أن عانى الكثير من أهوال لحياة ومصائبها .[2]

تمهيد :

في تراثنا الفكري مواقف ثلاثة من قضية نبوة العقل ونبوة الوحي : موقف ينتصر للوحي والشريعة ويبخس قيمة العقل والفلسفة ، وموقف يعلي من شان الفلسفة ويرى المرء قادر على الاستغناء عن الوحي بالعقل ، وموقف وسطي يذهب إلى التوفيق بين العقل والوحي وبين الفلسفة والشريعة ، وهو ما يعرضه أبو حيان في هذا النص على لسان أستاذه أبي سليمان المنطقي ، لما أثار الوزير البويهي ابن سعدان القضية في إحدى مسامراته معه .

عرض النص :

يقول أبو سليمان : إن الفلسفة حق لكنها ليست من الشريعة في شيء ، والشريعة حق لكنها ليست من الفلسفة في شيء ، وصاحب الشريعة مبعوث وصاحب الفلسفة مبعوث إليه . وأحدهما مخصوص بالوحي والآخر مخصوص ببحثه . والأول مكفي والثاني كادح . وهذا يقول : أمرت وعلمت وقيل لي وما أقول شيئا من تلقاء نفسي ، وهذا يقول : رأيت ونظرت واستحسنت واستقبحت . وهذا يقول نور العقل أهتدي به ، وهذا يقول معي نور خالق الخلق أمشي بضيائه ، وهذا يقول قال الله تعالى وقال الملَك ، وهذا يقول : قال أفلاطن وسقراط : ويُسمع من هذا ظاهر تنزيل وسائغ تأويل وتحقيق سنة واتفاق أمة ، ويسمع من الآخر الهيولى والصورة والطبيعة والأسطقس والذاتي والعرضي والأيسي والليسي وما شاكل هذا ، مما لا يسمع من مسلم ولا يهودي ولا نصراني ولا مانوي .

---

[2] - زكي إبراهيم : أبوحيان التوحيدي ، أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء ، سلسلة الأعلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974 ص 12 و 66 و 100

ويقول أيضا : من أراد أن يتفلسف فيجب أن يُعرِض بنظره عن الديانات ، ومن اختار التدين فيجب عليه أن يُعرِّد بعنايته عن الفلسفة ، ويتحلى بهما مفترقين في مكانين على حالين مختلفين ، ويكون بالدين متقربا إلى الله تعالى على ما أوضحه له صاحب الشريعة عن الله تعالى ، ويكون بالحكمة متصفحا لقدرة الله تعالى في هذا العالم الجامع للزينة الباهرة لكل عين ، المحيرة لكل عقل . ولا يهدم أحدهما بالآخر ، أعني لا يجحد ما ألقى إليه صاحب الشريعة مجملا مفصلا , ولا يغفل عما استخزن الله تعالى هذا الخلق العظيم على ما ظهر بقدرته واشتمل بحكمته واستقام بمشيئته وانتظم بإرادته واستتم بعلمه ، ولا يعترض على ما يبعد في عقله ورأيه من الشريعة وبدائع آيات النبوة بأحكام الفلسفة ، فإن الفلسفة مأخوذة من العقل المقصور على الغاية ، والديانة مأخوذة من الوحي الوارد من العلم بالقدرة .[3]

شرح الكلمات :

الهيولى والصورة : الهيولى : الأصل ، أي مبدأ الشيء ومادته الأولى ، والصورة : ما به يحصل الشيئ بالفعل كالهيئة الحاصلة للكرسي بسبب اجتماع خشباته .

الأسطقس : لفظ يوناني معرب بمعنى الأصل ، ويراد به العنصر ، وهي عند القدماء العناصر الأربعة : الماء والتراب والهواء والنار ، لأنها أصول المركبات التي هي المعادن والنباتات والحيوانات .

الأيسي والليسي : الوجود والعدم .

مانوي : نسبة إلى (ماني) وهو مؤسس مذهب المانوية القائل بأن للوجود مبدأين : مبدأ الخير ومبدأ الشر .

أسئلة للفهم والمناقشة :

ـ بني النص على المقارنة ، حدد أطرافها , وقسم النص في ضوء ذلك .

ـ ركز التوحيدي المقارنة على عناصر منها : مصدر المعرفة وصفة الباحث فيها ومنهجه ، استخرج القرائن النصية المؤيدة لذلك .

---

[3] - أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، تح/ أحمد أمين وأحمد الزين ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ج2 ص 18-19

ـ ارسم جدولا تبين فيه عناصر المقارنة بين المتفلسف والمتدين ، وأهم التراكيب التي اعتمدت في ذلك .

ـ هل ترى أن أبا سليمان كان يريد التوفيق بين الشريعة والفلسفة أم كان يريد الفصل بينهما ؟ علل جوابك .

ـ ناقش قول أبي سليمان : « الفلسفة مأخوذة من العقل المقصور على الغاية » معتمدا على ما درسته في التيارات الفكرية الإسلامية وخاصة فكر ابن رشد وفلسفته .

ـ ميز فيما يلي المفردات التي تتصل بمجال العقل والتي تتصل بمجال النقل (رأيت ، أمرت ، نظرت ، عُلِّمت ، استحسنت ، قيل لي ، كادح ، استقبحت ، مكفي) .

ـ ذكرت كلمة (عقل) في النص أربع مرات . تأمل في مختلف استعمالات هذه الكلمة ، وبين الفروق اللطيفة بينها .

أبو العلاء المعري رهين المحبسين

هو أحمد بن عبد الله التنوخي المكنى بأبي العلاء ، ولد سنة 363هـ بمعرة النعمان ، وهي قرية من قرى حلب وإليها نسب ، ينحدر من سلالة عربية خالصة ، نشأ في بيت علم وجاه ، فأسرته اشتغلت بالقضاء ، ووالدته كانت ذات حظ وافر من العلم والمال ، أصابه مرض الجدري وهو في الرابعة من عمره ، فذهب بعينه اليسرى ، وغشي بياض عينه اليمنى ولم يلبث أن أطفأها ، ومنذ هذا الحادث الفاجع بدأت قصة أبي العلاء مع الدنيا ، إذ كثيرا ما تحدث عن هذه المحنة وعن الظلام الدامس الذي لا زمه طول حياته .

تلقى أبو العلاء العلم والمعرفة (علوم اللغة والنحو والأدب وغيرها ...) ونهل من خزانة الكتب بأنطاكية ، كما أقبل على الحياة يملؤها زهوا وطموحا ، وواتته شاعريته فمدح لغير تكسب ، وهنأ بالعرس والولد وهو الذي نذر ألا يتزوج ولا يجني على ولد ولا يأكل لحم حيوان ، وبعد وفاة والده سنة 395هـ فكر في الرحلة إلى بغداد ، وكانت غايته من هذه الرحلة كما يقول في كتابه (الفصول والغايات) : « وأحلف ما سافرت أستكثر من النشب ولا أتكثر بلقاء الرجال – والله يحسن جزاء البغداديين – فقد وصفوني بما لا أستحق ، وعرضوا علي أموالهم عرض الجد ، فوجدوني غير جذل بالصفات ، ولا هش إلى معروف الأقوام » .

حل أبو العلاء ببغداد في ظرف كئيب ، ولقي من المفاجآت ما أدمى قلبه وضاعف من غربته وحزنه وخيبته ما يضيق المقام بذكرها ، فأجمع أمره على العزلة بعد هذه الصدمات القاسية التي لقيها في حياته فسمي رهين المحبسين : العمى والدار .[1]

من أهم آثاره :

ـ سقط الزند : ديوان شعري جمع فيه أبو العلاء أشعار الصبا والشباب .

ـ اللزوميات : ديوان شعري نظمه في النصف الثاني من حياته ، التزم فيه قيودا لغوية لم يلتزمها شاعر قبله .

ـ الفصول والغايات : مؤلف جمع فيه خلاصة أفكاره الواردة في (اللزوميات) .

[1] - ينظر طه حسين : تجديد ذكرى أبي العلاء ، دار المعارف بمصر د . ت ص 70 - 79

ـ رسالة الغفران : وهي جواب عن رسالة ابن القارح – شيخ من أهل الأدب راوية للأخبار – إلى المعري ، وقد كتبها سنة 424هـ .[2]

تمهيد :

ما من خاطرة من خواطر ابن القارح وهو في الجنة إلا ولها مع القدرة الإلهية صلة متينة ، فتتحقق دنما قيد أو شرط ، ولعل ذلك ما يفسر تدفق السرد الناشئ عن برنامج رسمه السارد بحكمة ودراية ، وهذه اللوحة القصصية من الشواهد المؤيدة لهذا التوجه الفني الذي تخيره الكاتب وهو في لحظة من لحظات التخيل ، فهل ترى اللوحة نابعة حقا من خواطر البطل أم تراها ناشئة عن أمر آخر أخفى وأبعد غورا .

عرض النص :

ويبدو له – أيد الله مجده بالتأييد – أن يصنع مأدبة في الجنان ، يجمع فيها من أمكن من شعراء الخضرمة والإسلام ، والذين أصلوا كلم العرب ، وجعلوه محفوظا في الكتب وغيرهم ممن يتأنس بقليل الأدب ، فيخطر له أن تكون كمآدب الدار العاجلة ، إذ كان البارئ – جلت عظمته – لا يعجزه أن ياتيهم بجميع الأغراض من غير كلفة ولا إبطاء ، فتنشأ أرحاء على الكوثر تجعجع لطحن بر من بر الجنة ...

فيقترح – أمضى القادر له اقتراحه – أن تحضر بين يديه جوار من الحور العين ، يعتملن بأرحاء اليد : فرحى من در ، ورحى من عسجد ، وأرحاء لم ير أهل العاجلة شيئا من شكل جواهرهن ، فإذا نظر إليهن ، حمد الله سبحانه على ما منح ... ويبتسم إليهن ويقول : اطحن شزرا وبتا ، فيقلن : ما شزر ولا بت ؟ فيقول : الشزر على أيمانكن ، والبت على شمالكن :::

ويجس في صدره –عمره الله بالسرور – أرحاء تدور فيها البهائم ، فيمثل بين يديه ما شاء الله من البيوت ، فيها أحجار من جواهر الجنة ، تدير بعضها جمال تسوم في عضاه الفردوس ، وأينق لا تعطف على الحيران ، وصنوف من البغال والبقر وبنات صعدة ، فإذا اجتمع من الطحن ما يظن أنه كاف للمادبة ، تفرق خدمه من الولدان المخلدين ، فجاءوا بالعماريس وهي الجداء وضروب الطير

[2] - القطوف الدانية : تأليف جماعة من الأساتذة ، نشر الشركة التونسية للتوزيع تونس د ط د ز ت ص 20 - 21

التي جرت العادة بأكلها : كأبجاج العكارم وجوازل الطواويس ، والسمين من دجاج الرحمة وفراريج الخلد ، وسيقت البقر والغنم والإبل لتعتبط ، فارتفع رغاء العكر ، ويعار المعز وثؤاج الضأن ، وصياح الديكة لعيان المدية ، وذلك كله – بحمد الله – لا ألم فيه ، وإنما هو جد مثل اللعب ، فلا إله إلا الله الذي ابتدع خلقه من غير روية وصوره بلا مثال .

فإذا حصلت النحوض فوق الأوفاض ، والأفواض مثل الأوضام بلغة طيء ، قال : - زاد الله أمره من النفاذ – أحضروا من في الجنة من الطهاة الساكنين بحلب على ممر الأزمان فتحضر جماعة كثيرة ، فيأمرهم باتخاذ الأطعمة ، وتلك لذة يهبها الله – عز سلطانه – بدليل قوله : « وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ، وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ، لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون »[3]

فإذا أتت الطعمة ، افترق غلمانه الذين كأنهم اللؤلؤ المكنون لإحضار المدعوين ، فلا يتركون في الجنة شاعرا إسلاميا ولا مخضرما ولا عالما بشئ من أصناف العلوم ولا متأدبا إلا أحضروه ، فيجتمع بجد عظيم – والبجد : الخلق العظيم ، قال الشاعر :

تطوف البجود بأبوابه من الضر في أزمات السنينا

فتوضع الخون من الذهب والفواثير من اللجين ، ويجلس عليها الآكلون ، وتنقل إليهم الصحاف ، فتقيم الصحفة لديهم وهم يصيبون مما ضمنته ، كعمر كوي وسري – وهما النسران من النجوم ، فإذا قضوا الأرب من الطعام ، جاءت السقاة بأصناف الأشربة ، والمسمعات بالأصوات المطربة .[4]

شرح الكلمات :

ـ العِضاه : كل شجر يعظم وله شوك . ـ الحِيَران ولد الناقة قبل أن يفصل عنها .

ـ بنات صعدة : حمر الوحش . الأبجاج فراخ الطيور . العكارم إناث الحمام .

---

[3]- الزخرف / 72 ، 73

[4] - أبو العلاء المعري : رسالة الغفران ، تح/ وشرح بنت الشاطيء ، دار المعارف بمصر ط7 ص 268 – 272

ـ الجوازل فراخ الحمام والقطا وما شابههما . عبط الذبيحة : نحرها . العَكَر مجموعة من الإبل ما فوق الخمسمائة . النحوض : المكتنزة لحما وشحما . الأوفاض والأوضام : خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم ،وهي ما يقي اللحم من الأرض . الخون ما يؤكل عليه موائد . الفواثير : خُوان من رخام .

أسئلة للفهم والمناقشة :

ـ قامت البنية الحدثية في النص على مبدأي التتابع والانضمام ، استخرج العبارات التي اعتمدها السارد في هذا الاختيار ، ثم قسم النص إلى مقاطع في ضوء ذلك .

ـ ما وظيفة الشاهد القرآني هذا في النص ؟

ـ اذكر أصناف المتع التي رغب فيها ابن الارح ، وبين طبيعتها ، ثم علق على ذلك .

ـ من هم المدعوون إلى هذه المأدبة ؟ ولم قصر ابن القارح ومن ورائه المعري الدعوة عليهم ؟

ـ ميز في النص ما هو دنيوي مما هو أخروي ن وعلل رغبة ابن القارح في إقامة مادبة على غرار ما يقام في الدنيا .

ـ جملة الدعاء في النص ، ما منزلتها من فن القص القديم ؟ ، وما ميزتها ؟

ـ قارن بين وصف المأدبة في نص رسالة الغفران ومظاهر النعيم في النص القــرآني ، ماذا تستنتج ؟

ـ استخرج من النص اسماء الآلات والأواني التي اعتدت في إقامة المأدبة .

ـ الرحلة نص متخيل ، منه ما هو واقعي استرجاعي وما هو إبداعي : غرائبي أو عجائبي ، بين نوع التخيل في هذا النص .

الأدب وقصة الحضارة في الأندلس

خير ما نفتتح به هذا الموضوع ن مقولة مشهورة لابن بسام الشنتريني في مقدمة كتابه (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) : « إن ثمرة هذا الأدب ، العـالي الرتب، رسالة تنثر وترسل ، وأبيات تنظم وتفصل . وما زال في أفقنا هذا الأندلسي القـصي إلى وقتنا هذا من فرسان الفنيـين ، وأئمة النوعـين ، قوم هم ما هم طيب مكاسر وصفاء جواهر ، وعذوبة موارد ومصادر ، لعبوا بأطراف الكإم المشقق ، لعب الدجى بجفون المؤرق ، وحدوا بفنون السحر المنمق ، حداء الأعشى ببنات المحلق ، فصبوا على قوالب النجوم غـرائب المنثور والمنظم ، وباهوا غـرر الضحى والأصائل ، بعجائب الأشعار والرسائل » .

إن قصة الحضارة في الأندلس تنطق بها شهادات المستشرقين المنصفين ، وقد جاء في صحيفة مدرسة أدنبرج الكلية : « إنا لمدينون للعـرب كثيرا ، ولو قال غيرنا بخلاف ذلك ، فإنهم الحلـقة التي وصلت مدنية أوروبا قديـما بمدنيتها حديـثا ، وبنجاحهم وسمو هممهم تحرك أهل أوروبا إلى إحراز المعارف ، واستفاقوا من نومهم العميق في العصور المظلمة ، ونحن مدينون لهم أيضا بترقية العلوم والفنون النـافعة ، وكثير من المصنوعات والمخترعات التي نفعت أوروبا علما ومدنية » .

وقد بقيت حضارة العرب إلى ما بعد خروجهم من الأندلس وضاءة لامعة ، وكانت مثار إعجاب كل أوروبي ، سواء أثناء حياة العـرب هناك أو بعـد ذلك ، وترجمت العديد من الآثار العربية إلى اللغات الأوروبية القديمة والحديثة ، وذاع في الأندلس فن البناء والهندسة – مدينة الزهراء وقصر الحمـراء في غرناطة ومسجد قرطبة وغيرها من القصور والمتنزهات والحدائق والجسور –والموسيقى – على يد زرياب - والنحت والتصوير والغناء .

أما عوامل تأسيس الحضـارة فقد كانت كلها ممكنة للعرب في الأندلس ، فمن امتزاج العناصر وتوحد الأجناس واختلاط الدماء ، مما نشا عنه جيل عـربي جديد يجمع خصائص العرب والآريين الفكرية والاجتماعية والنفسية ، إلى جمـال البيئة وخصبها واعتدال الجو فيها ، وهذا ما بعث اللين في طبائعهم والرقة في عواطفهم ، ونبغ في هذه البيئة العلماء والأدباء والفلاسفة

وحسبك ابن رشد وابن باجة وابن طفيل وابن زهر وسواهم من أعلام الفكر الأندلسي ، الذين أثروا في تطور الفكر الإنسان ، وفي تعجيل بدء النهضة في أوروبا .

ثم تطور سير الحضارة وازدهارها في الأندلس العربية ، حينما أخذت قرطبة وغيرها من بلاد الأندلس الشهيرة ، تنافس بغداد في العلوم والفنون ، ولا سيما حين أخذ بنو أمية في مجاراة خلفاء بني العباس في الإفاضة على العلماء والأدباء بالعطايا ، وقلدهم في ذلك ملوك الطوائف بعدهم ، وكانت الصلة العلمية لا تنقطع بين البلدين ، وكان الطريق من بغداد إلى قرطبة آهلا بالراحلين من العلماء والأدباء .

وحسبنا أن نذكر أن الفلسفة اليونانية قد وصلت إلى أوروبا في ذلك العصر ، بواسطة التراجم والمؤلفات العربية ، وأن كثيرا من المؤلفات العلمية قد نقلت إلى اللاتينية ، حتى إن بعضها فقد أصله العربي ، ولم يبق منه سوى الترجمة اللاتينية ، وأن أسماء الفلاسفة العرب لكثرة تداولها على ألسنة الإفرنج قد اتخذت صورة إفرنجية كابن سينا وابن رشد والرازي وغيرهم ، وكانت صقلية تشارك الأندلس رغم قصر المدة التي بقي فيها العرب بهذه الجزيرة ما يقرب من مائة وثلاثين سنة ، ونشير هنا إلى أحد أعلامها وهو الإدريسي الجغرافي العربي الشهير .

وليس من السهل أن نقدر الأثر العظيم الذي تركته الحضارة العربية الأندلسية في بلاد أوروبا المختلفة ، وذلك لأسباب كثيرة أهمها ما يلي :

- إن تاريخ أوروبا في العصور الوسطى تخيم عليه سحب كثيرة من الغموض والإبهام ، تجعل من المتعذر تتبع هذه المؤثرات من منابعها إلى الجهات التي انتشرت فيها .

- إن الحروب الطويلة التي دارت بين المسلمين والنصارى في الأندلس ، وانتهت بزوال الحكم العربي الإسلامي عن هذا القطر ، وما أعقبها من انتشار روح التعصب والجهل ، قد أضاعت كثيرا من الآثار العربية .

- إن العلماء الأوروبيين كانت لهم نظرة خاطئة ، دفعتهم إلى إنكار المؤثرات العربية في الحضارة الأوروبية الحديثة ، أو التقليل من شأنها ، وهذه النزعة ستزول في أغلب الظن بمرور الزمن ، حين يتخذ البحث العلمي سبيلا قوامه الإنصاف والبعد عن الهوى والتعصب .

وإذا كان من العسير اليوم رسم صورة واضحة وكاملة لأثر الحضارة العربية في الثقافة الأوروبية الحديثة في العلم والفلسفة والفنون ، فإن تبيان أثر الأدب العربي الأندلسي شعرا ونثر في الآداب الأوروبية أشق وأعسر .

ولذلك فإن الباحث عن أثر الأدب العربي في الأدب الأوروبي ، يمكن له أن يتبع في بحثه طريقة أخرى ، هي طريقة المقابلة والمقارنة بين الأدبين ، وملاحظة وجوه التشابه التي لا يمكن أن تجيء عفوا ، ولهذا فالباحث الذي يرى تشابها دقيقا بين أشعار < دانتي > في الكوميديا الإلهية ، وبعض مؤلفات المعري وخاصة (رسالة الغفران) ، اتفاق حتى في بعض التفاصيل ، أو مؤلفان ابن شهيد في (رسالة الزوابع والتوابع) مضطر أن يفترض أن بعض آثار المعري وابن شهيد قد ترجم إلى اللاتينية أو الإيطالية وإن لم نعثر على هذه الترجمة بعد . كذلك الذي يرى أن استخدام القافية في الشعر قد انتقل إلى أوروبا بواسطة العرب قد تعوزه الأدلة المادية على تأييد هذه النظرية .

ومن البديهي أن كثيرا من سكان الأندلس الذين اعتنقوا الإسلام كانوا يجيدون اللغتين العربية والإسبانية ، وكان الأدباء منهم قد اطلعوا على الشعر العربي وتذوقوه ، وكانوا واسطة لنقله إلى الأطراف الشمالية جنوب فرنسا .

وليست الأشعار العربية وحدها التي أثرت في آداب العصور الوسطى الأوروبية ، بل كان للقصص والخرافات والمثال والنوادر العربية المنثورة أثر كبير أيضا ، بل لعل أثر النثر في ذلك العصر كان أوضح ، فكتاب (كليلة ودمنة) لابن المقفع الذي ترجم إلى الإسبانية واللاتينية في القرن الثالث عشر الميلادي ، وانتقل إلى البلاد الأوروبية كان النواة الأولى التي نشأ من حولها أدب قصصي عن الحيوان والطير ، وكان له أثره حتى في أشعار (لافونتين) ناظم الخرافات الشهير .

فهل تأثر الكاتب الإسباني (سيرفنتيس ولد 1547) في كتابه (دون كيشوت) بالأدب العربي ، وخاصة أنه أقام بالجزائر سجينا في عهد الحماية التركية ؟ وهل كان للتصعلك كما يعرفه

العرب أثر في صوغ القصة ؟ أم تأثـــرت القصة بجنون الحب الذي ورثته القصة العربية من مثل حديث مجنون ليلى ؟ أسئلة تجيب عنها حياة سيرفنتيس نفسه . ([1])

عاش الأدب العربي في الأندلس نحو ثمانية قرون ، وتأثر بتلك البيئة التي عاش فيها ، وليست الأندلس ببيئتها الطبيعية وظروفها الاجتماعية والسياسية بالشيء الذي يمكن إغفاله أو تجاهله في دراسة هذا الأدب ، واعتقد البعض من الدارسين خطأ أن الأدب الأندلسي ليس إلا أدبا عباسيا ، ومن ثمة يكتفون بالأمـــور العائمة على السطح ، حين يتحدثون عن وصف الطبـيعة ومجـــالس اللهو ، أو حين يترجمون للشعراء والكتاب ، ويظنون أن ذلك هو تاريخ للأدب الأندلسي .

وربما كان المستشرقون أقرب إلى المنهج السليم ، وأكثر اعتمادا على الحقائق فيما كتبوه عن الأدب الأندلسي ، ومع ذلك فكتاباتهم لا تـــــزال تتسم بالاقتضاب والتسرع في إصدار الأحكام ، ولهذا يمكن القـــول بأنه إلى الربع الأخير من القرن العشرين لم يظهر تاريخ منهجي مفصل للأدب الأندلسي .

والدارس للأدب الأندلسي مطالب بأن يتتبع العصـــور المختلفة التي مر بها ، ويحدد ما قد يكون له من اتجاهات فنية ، ويبحث عما يغـــذيه من روافد مشرقية ، ويكشف عما يخالفه من ينابيع مغربية ن ويبين صلته بالآداب الأوروبية التي جاورته أو اتصلت به .

والعصور المميزة في تاريخ الأندلس تبدأ :

- من الفتح الإسلامي إلى سقوط الخلافة الأموية في المشرق (92هـ – 132هـ) – عصر الخلافة الأموية في الأندلس (138هـ – 422هـ) ويبرز فيه ابن هانئ

- عصر ملوك الطوائف (422هـ – 484هـ) يبرز فيه ابن زيدون

- عصر المرابطين بالمغرب ثم الأندلس (484هـ – 539هـ) يبرز فيه ابن خفاجة

- دولة الموحدين (539هـ – 633هـ) يبرز فيه ابن طفيل

[1] - ينظر عبد المنعم خفاجي : لأدب الأندلسي التطور والتجديد ، دار الجيل بيروت ط1 1992 ص 7 – 35

- دولة بني الأحمر (639هـ – 897هـ) يبرز فيه لسان الدين بن الخطيب .

وهذا لا يعني أن الأدب يتغير بمجرد قيام دولة وسقوط أخري ، بالرغم من أن الأدب كنشاط إنساني فني يتـأثر لا محالة بما يحيط به من ظـــروف سياسية واجتماعية وثقافية .

والحق أن النصوص التي يعتمد عليها دارس تاريخ الأدب الأندلسي قليلة نسبيا وعلى الأخص تلك التي تتصل بالفترتين الأولى والثانية ، وذلك لكثرة ما ضـاع من تراث المسلمين في تلك البلاد ، بل لكثرة ما أتت عليه أيدي الإتلاف والإبــادة من المسيحيين والمسلمين على حد سواء .

أولية الثقافة الأندلسية :

دفعت الأندلس عوامل مختلفة في سبيل ثقافتها ن وكان من تلك العوامل :

- وفود كثير من الأمويين وأنصارهم على الأندلس ، إما فرارا من بطش العباسيين ، وإما رغبة في الحياة بالإقليم الإسلامي الجديد المعروف بكثرة الخيرات ، ولا شك أن كثيرا من هؤلاء الوافدين كانوا على حظ وفير من الثقافة وقدر كبير من المعرفة ، ولا شك أن حياتهم في الأندلس ستذيع ثقافتهم وتشيع معارفهم ، وتساعد البلاد على ان تخطو في طريق الثقافة.

- لا ننسى أن من أهم عوامل دفع الثقافة الأندلسية في تلك الفترة ما كان من إنشاء مسجد قرطبة وغيره من المساجد ، الذي كان النواة الحقيقية للجامعة الأندلسية التي تأسست ، والتي ستتسع في العصور التالية حتى تكون في القرن العاشر الميلادي أعظم جامعات إسبانيا ، بل أعظم جامعات أوروبا .

ونشاهد في هذه الفترة أولى الخطوات نحو أدب أندلسي متميز ، صيغت فيها النماذج الأدبية الأولى ، وسوف يتضح ذلك حين نتناول كلا من الجنسين الأدبين آنذاك .

أولا / الشعر:

كان الشعر الأندلسي في تلك الفترة يسير في اتجاه المدرسة المحافظة المشرقية ، ولكن مع تميزه بسمات خاصة ، تشكـــل أولى ملامحه منذ نشأته كأدب أندلسي ، وكانت مظاهر هذا الاتجاه المحافظ تتمثل في أن الشعـر الأندلسي كان يهتم أكثر بالموضوعات التقليدية من فخر ومدح وحماسة وما إلى ذلك من الأغراض الشعرية ، ويسير على منهج الأقدمين في بناء القصيدة ، وفي

تجميع صورها غالبا من عـالم البادية ، في لغة تستوحي الذاكرة والتراث ، أكثـر مما تستوحي العصر والـواقع . ولنتأمل قول الشـاعر الحكم بن هشام وهو يفتخر ببطولته ويمجد السيف وأسلحة القتال :

غناء صليل البيض أشهى إلى الأذن من اللحن في الأوتار واللهو والردن

إذا اختلفت زرق الأسنة والقـناء أرتك نجـوما يطلعن من الطعن

بها يهتدي الساري وينكشف الدجى وتستشعر الدنيا لباسا من الأمـن

فهذا النموذج يؤكد أن هذا الشعر يسير على خطى المدرسة المشرقية المحافظة ن من حيث بناء القصيدة ، حيث ينتزع المعاني والصور من البيئة البدوية ، ويعتمد على الألفاظ الجزلة وإن كانت غريبة ، وعلى العبارات الفخمة وإن كانت فـارغة ، والميل إلى البحور ذات التفاعيل الكثيرة والقوافي الرنانة .

ولعل في ذلك ما يبرره من واقع الأندلسيين وظروفهم ، ومن مثلهم وقيمهم ، فالفخر والحماسة كان من لوازم الصراع والغلبة ، وقد عرفت الأندلس كثيرا من ذلك وفي كل الفترات . أما المدح فمن لوازم البيئة العربية أيضا ، حيث كـان الحكام يدعمون حكمهم ويقوون سلطانهم ، فاتخذوا من الشعر أداة ترويج ووسيلة دعاية ، وهم قبل ذلك عرب بالأمزجة يهشون للمدح وينبسطون للثناء .

والغزل كذلك كان مظهرا من مظاهر البيئة العربية ، وخاصة في أوساط الفرسان ، وقد عرفت الأندلس الفروسية منذ البداية ، وليس ذلك بغريب أن يظهر الفارس قويا شديدا في ميدان الحرب ، وضعيفا مستكينا في ميدان الحب .

ولا غرابة فقد كان الشعراء الأندلسيون يستلهمون عالما مثاليا ، يتخيلونه عالم آبائهم وأجدادهم ، ويحاكون نماذجهم التي جادت بها قرائحهم ، وشبيه هـذا ما فعله الأوروبيون في العصر الكلاسيكي ، حين راحوا يستلهمون العالم المثـالي اليوناني والروماني ، ويسيرون على النماذج التي رسمها أسلافهم بالرغم من اختلاف العصر والناس ، وربما كان أكثر شبها ما كان من أدبـاء أمريكا اللاتينية ، حين استوحوا الأدب الإسباني القديم ، باعتباره عالمهم الأسطوري المثالي .

أما طرق الموضوعات الجديدة والإجادة الفنية ، فقد لجأ الأندلسيون إلى وسائل مختلفة إلى هذا التجويد ، بعضها يتعلق بالمضمون وبعضها يتصل بالشكل ، هـذه السمة الفنية التي بدت في شعرهم منذ نشأته ، كانت دائما في أوضح خصـــائص الشعر الأندلسي في كـل العصور . ولنأخذ لذلك مثلا أبيات عبد الرحــمن الداخل (صقر قريش) في الحديث عن نخلة رآها بالرصافة بالأندلس وفيها يقول :

تبدت لنا وسط الرصـــــافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن وطن النخل

فقلت شبيهي في التغريب والنـــوى وطول التنائي عن بني وعـــــن أهلي

نشأت بأرض أنت فيها غـــــــريبة فمثلك في الإقصاء والمنتـــــأى مثلي

سقتك غوادي المزن في المنتأى الذي يسح ويستمرى السماكين بالـــــوبل

فالشاعر في هذه الأبيات يتناول موضوعا تقليديا وهو الوصف ، ولكنه يلح على الجانب العاطفي ، فيبرزه بحيث يكاد يخفي كل ما عداه من الجوانب ، فهو لم يصف النخلة في طولها ولا لونها ولا تمرها ، ولم يتخيلها ماردا ذا شعر طويل ، ولا شيخا ذا قوام هزيل ، وإنما ترك ذلك كله ، ليصف النخلة بأوصـــاف عاطفية ، ويصورها بصورة نفسية ، فيرسمها وقد تناءت بأرض الغرب عن وطن النخل ، ويعـــقد بينها وبيه شبها في التغريب والبعد عن البنين والأهل ، وأخيــرا يدعو لها بالسقيا . وهكذا جعل من النخلة إنسانا حيا يغترب وينأى عن الوطن ويبعد عن الأهـل ، وأوجد بينه وبينها مشاركة وجدانية وعلاقة نفسية جعلته يخاطبها في حنو ويناجيها في عطف .

ومثل هذا النموذج قول عبد الرحمن الداخل أيضا :

أيهـــا الـراكب الميمم أرضي اقر من بعضي السـلام لبعضي

إن جسمي كما تـــراه بأرض وفــؤادي ومالكيه بـــــــأرض

قدر البـين بيننا فافتـــرقنا وطوى البين عـن جفوني غمض

قد قضى الله بالعباد علينا فعسى باقترابنا ســـوف يقضي

فهم الشاعر أن يوضح الجانب العاطفي ، وينقله إلى غيره نقلا قويا ، ومن هنا جعـل سلامه مبعوثا من بعضه إلى بعضه الآخـر ، وفســـر ذلك بأنه مقسم بين الأندلس والشام ، فجسمه

هنا وفـؤاده ومالكوه هـناك ، وذكر أن البـــعاد قضاء الله وقدره ، ودعاه في الأخير أن يقضي بعد ذلك باللقاء .

ثانيا / النثر:

تطور النثر الأندلسي ، وكان أهم مظاهر هذا التطور ، تأثره أولا بأسلوب عبد الحميد الكاتب الذي لمع في أواخـــر العصر الأموي ، ثم الجاحظ الذي تـألق في العصر العباسي ، وكان صاحب مـدرسة أسلوبية متميزة كما رأينا من قبل ، وتجلى هذا التأثر في الخطابة والرسائل والمناظرات وغيرها ، ولكنه لم يبق نـــثرا بسيطا ذا سمات عربية خالصة ، وإنما أصبح نثرا فنيا تتضح فيه تلك المؤثرات التي أصابت مصدره الأصلي في المشرق ، حيث اتصل النثر هـناك بتقاليد فنية أجنبية ، أهمها التقاليد الفارسية ، كما هو الحال عند ابن المقفع في كتابه (كليلة ودمنة) .

أما التأليف الأدبي ونعني به تأليف كتب الأدب بمفهوم القرن الثالث الهجري لكلمة أدب ، وكان يعني في هذه الفترة الثقافة العربية الخالصة التي تتمثل في كل ما يكون به التأديب والتهذيب والتثقيف ، والتي تجمع بين مختارات الشـــعر والنثر وبين التاريخ والأخبار والطرائف ، وبين اللغة والرواية وبين البـــلاغة والنقد ، وما إلى ذلك من فروع الثقافة العربية الإسلامية .

وقد أسهم الأندلسيون في هذا النوع من التأليف الأدبي بكتب قيمة نذكر منها على سبيل المثال كتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه ، الشاعر والنـاقد الأندلسي ، ويتعرض فيه للبلاغة والنقد والعـــروض والأخـــلاق والعادات ، دون أن ننسى لسان الدين بـــن الخطيب وكتابه القـــيم (ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب) وما فيـــه من مقامات وخطب ورسائل وأشعار . ([2])

ونقدم لطلبتنا نموذجين تطبيقيين من الأدب الأندلسي في الشعر والنثر أحدهما للشاعر ابن هانئ الأندلسي ، وثانيهما للكاتب والشاعر لسان الدين بن الخطيب ، ونبدأ بابن هانئ حسب الترتيب الزمني لكل منهما :

---

[2] - ينظر أحمد هيكل : الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، دار المعارف بمصر د . ط 1985 ص 61-67 و ص 78-80

ابن هانئ الأندلسي (320هـ – 362هـ) في سطور :

- ولد بإشبيلية من أسرة ذات حسب وعلم ، اختلف إلى مجامع العلم والأدب ، يكون فيها ملكاته تكوينا يصل بينه وبين الحياة بأسباب الطموح والأمل .

- رحل إلى قرطبة العاصمة الأولى لملك بني أمية ، التي كانت تزخر بالعلم والعلماء وألوان الثقافة ، فعكف يتزود بأكبر قسط من المعرفة . وخاصة الثقافة الدينية .

- اتصل بأمير إشبيلية واستمرت المودة بينهما حينا من الزمان ، ولكن ابن هانئ كان برما بالحياة في ظل الحكم الأموي ، منكرا لحقهم في الخلافة الإسلامية ، لأنه كان يتشيع للفاطميين يشيد بدعوتهم ويؤيدهم بروحه ولسانه .

- لما شعر باضطهاد الأمويين للشيعة هاجر إلى المغرب واتصل أولا بجوهر الصقلي ثم توجه إلى جعفر بن علي أمير الزاب والمسيلة ، فألقى رحاله في فنائه ، وعاش أثيرا في كنفه ، وتلقى الأمير الشاعر بالتقدير والعطف فمدحه ابن هانئ وأشاد بذكره :

لم تدنني أرضٌ إليك وإنما جئت السماءَ ففتِّحت أبوابا

- في عام 350هـ وصل الشاعر إلى القيروان عاصمة الخلافة الفاطمية ، فسعى إلى الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ، فقربه إليه وأجزل له العطاء ، وبعدها ابتدأت صفحة جديدة في حياة ابن هانئ ، فعاش في مجد العرش وظله .

- مدح الشاعر المعز بأروع قصائده ، وشيعه عندما توجه إلى مصر ، ولما شرع في العودة ووصل إلى برقة قتل غدرا ، ولم سمع المعز بمقتله قال قولته المشهورة : « هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به أهل المشرق فلم يقدر لنا ذلك » . ([3])

جهز المعز قائده جوهرا الصقلي ليضم مصر بعد موت كافور الإخشيدي بجيش جرار يربو عدد الخيل مائة ألف يزيد عددها على عدد الجند بكثير ، وألف ومائتا صندوق من الأموال على الجمال وكان ذلك سنة 358هـ ([4])

---

[3] - ينظر أحمد خالد : ابن هانئ الشركة التونسية للتوزيع 1976

في هذه المناسبة أنشد ابن هانئ قصيدة طويلة نقتطف منها الأبيات التالية :

رأيت بعيني فـــــوق ما كنت أسمع وقد راعني يوم مـــن الحشر أروع

غــداة كأن الأفـــق ســـــد بمثله فعاد غروب الشمس من حيث تطلع

فلـــم أدر إذ سلمت كيف أشـــيع ولـــــم أدر إذ شيعت كـــيف أودع

وكيف أخوض الجيش والجيش لجة وإني بمن قـــاده الدهـــــــر مولـــع

وأين وما لي بـــين ذا الجمـــع مسلك ولا لجـــوادي في البسيطة موضـــع

ألا إن هذا حشد من لم يـــــذق له غرار الكـــرى جفن ولا بـــات يهجع

فلا عسكر مـــن قبل عسكر جوهـــر تخب المطايا فيه عشـــــرا وتوضـــع

تسير الجبال الجامدات لســـــــيره وتسجد من أدنى الحفيف وتـــــركع

إذا حـــــل في أرض بنـــاها مدائنا وإن سار عن أرض ثوت وهـــــي بلقع

لقد جـــــل من يقتاد ذا الخلق كله وكل له من قائم السيف أطـــــــوع

تحف به القواد والأمـــــــر أمره ويقدمه زي الخـــــــلافة أجـــمع

ويسحب أذيال الخـــــلافة رادعا به المسك من نشر الهـدى يتضوع

له حلل الإكـــــرام خص بفضلها نسائج بالتبـــــــر الملـــــمع تلمع

برود أمـــــير المؤمنين بـــــروده كســـاه الرضى منهن ما ليس يخلع

وبين يديـــه خيله بســـــــــروجه تقاد عليهن النضـــــار المـــرصع

وأعـــــــــلامه منشورة وقبـــابه وحجابه تـــــدعى لأمـــــــر فتسرع

---

[4] - ينظر ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دار الكتب بمصر ج4 2010 ص 28

مليك تـــرى الأملاك دون بساطه وأعنـــاقها مـــيل إلى الأرض خضع

قياما على أقـــــدامها قد تنكبت صوارمها كـــــــل يطيـــع ويسمع

تخال بيوت المـــــال حيث محله وجم العطـــــــايا والرواق المرفع ([5])

التعريف بالأعلام :

جوهر الصقلي : أصله مملوك رومي ، رباه المعز لدين الله ، وكناه بأبي الحسن ن وأعلى قدره وسيره في رتبة الوزارة ، وجعله قائد الجيوش ، أرسله سنة 347هـ إلى بلاد المغرب فافتتح مدنها ، ثم جهزه إلى مصر ففتحها سنة 358هـ وبنى بها مدينة القاهرة والجامع الأزهر ، سار إلى بـــــلاد الشام فأخذ طبرية ودمشق ، توفي سنة 381 هـ .

الأسئلة للفهم والمناقشة :

- اشرح الكلمات التالية بحسب ورودها في السياق : الغرار – توضع – الحفيف – البلقع – تنكب .

- استخرج من النص المعجم المتصل بالحرب .

- ارتسمت في مخيلة الشاعر صورتان لمشهد الوداع : إحداهما فوقية عن بعد ، والأخرى أفقية عن قرب ،تبين حدود كل منهما ثم وضح غرض الشاعر من توخي هذه الطريقة في الوصف .

- استخرج من النص أهم الصفات والأعمال التي تدل على كفاءة القائد جوهر ، ثم بين رأيك فيها .

- ما مظاهر المبالغة عند كل من المعز في توفير المعدات لقائده جوهر ، وابن هانئ في تصوير هذه المعدات ؟ وما مقصد كل منهما من هذه المبالغة ؟

- ادرس بعض مظاهر الإيقاع الداخلي في النص ، وبين مدى مساهمته في جمالية القول الشعري .

- لم اقتصر وصف الشاعر على ما هو خارجي ، دون ما هو نفسي ، والحال أن المشهد يعد من مقدمات الحرب ؟

---

[5] - ابن هانئ : الديوان تح/ محمد اليعلاوي دار الغرب الإسلامي 1995 صر92 – 94

- بين نوع العلاقة التركيبية القائمة بين الأبيات : 3،4،5

- وقف النقاد من الفن الشعري عند ابن هانئ موقفين : موقف يرى في شعره غلوا ومبالغة غير مستساغة ، وآخر يرى في شعره الخيال الزاخر ، واللغة الثرية ، والتراكيب المتينة ، ولين التعبير أو شدته بحسب الموضوع والغرض ، ناقش هذه المسألة بالرجوع إلى الدراسات التي تناولت شعر ابن هانئ .

أحيل الطلبة على كتاب (مطمح النفس) للفتح بن خاقان ، و (رسالة الغفران) للمعري ، و(العمدة) لابن رشيق ، من أجل الإجابة على هذا السؤال .

ملاحظة :

حين تجيب على هذه الأسئلة تكون أيها الطالب (ة) قد اقتربت من فهم النص وسياقاته المختلفة .

أما النموذج التطبيقي الثاني فهو للسان الدين بن الخطيب ، صاحب كتاب (الإحاطة في أخبار غرناطة) . فمن هو ؟

لسان الدين بن الخطيب (713هـ-776هـ) الملقب بذي الوزارتين ، لجمعه بين مهمتين : السيف والقلم السياسة والكتابة .

- ولد بالقرب من غرناطة في بيت علم وسيادة ، وكان جده خطيبا بأحد مساجدها ، فعرف منذ ذلك الوقت ببيت الخطيب .

- عاش موفور الجانب في غرناطة ، ثم في المغرب حتى أفل نجمه ولحقه به ضيق بسبب حاسديه الذين اتهموه بالزندقة والكفر .

- وقعت حرب بين ملك غرناطة الذي تغلب على سلطان المـــغرب ، وطلب تسليم ابن الخطيب فقبض عليه عدوه الألد سليمان بن داود ، وحبسه وارسل بعض حاشيته من السفلة فقتلوه خنقا ، ثم أخرج وأضرمت حوله النـــار ، حتى تشوهت بشرته ، ثم وضع في حفرته ، فكان لسان الدين ضحية الجهالة والتعصب والأحقـــاد السياسية الوضيعة ، كان ذلك في عام 776هـ بفاس . وكان يشعر بدنو أجله ومأســـاة نهايته حين قال هذه الأبيات :

بَعُدنا وإن جـــاورتنا البيوت وجئنا بوعظ ونحن صموت

وأنفــاسنا سكنت دفعـــة كجهر الصلاة تلاه خفـــوت

وكنا عظاما فصرنا عظــام وكنا نقوت فها نحن قـــوت

وكنا شموس سماء العـــلا غربنا فناحت علينا السموت [6]

- ترك لسان الدين بن الخطيب العديد من المؤلفات أهمها :

* الإحاطة في أخبار غرناطة

* ديوان : الصيب والجهام والماضي والكهام

* ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب

ومن كتاب (الريحانة) نقتطف نصا للتطبيق ، وفيه يشرح لنا ابن الخطيب في ديباجته سبب تسميته ، ويجمل أقسامه في قوله : « وسميته لتنويع بساتينه المشوقة ، وتعدد أفانينه المعشوقة [ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب] ، وقسمته إلى حمدلة ديوان ، وتهنئة إخوان ، وتعزية في حرب الدهر عوان ، وأغراض وألوان ، وفتـــوح يجليها السلوان ، وخاطبات إخوان ، ومقامات أنقى من شعب بوان ، وغير ذلك من أغراض وألوان ، صنوان وغير صنوان » . ثم يقول :

ومن ذلك ما خاطبت به الحسن بن يحيى فيما يظهر من الرسالة :

وسائلة عن الحسن بن يحيى وقد جرحت مآقيها الدمـــوع

تقول ترحـــــل المفضل عنا وضعنا بعده فمتى الرجـــوع

وكـــأن الشمس فارقنا سـناه فأظلمت المعاهد والربـــــوع

فقلت كـــان بمقدمه فقالت بشارتك الصواهل والنجـــوع

تـــــولى الله منه خيـــــر وال نكف به الخطوب فما تـــروع

---

[6] - ينظر عبد الله عنان : لسان الدين بن الخطيب ، حياته وتراثه الفكري ، مكتبة الخانجي للطباعةوالنشر والتوزيع ط1 1968

فقلت لعلها انفـــردت بهـذا فقـــال بقولها الحي الجميـع

فكانت دعوة صعدت ونجوى فقبلها المجيب لها السمـــيـع

ووافق ما نطقت به قضـــاء قضى إن الوسائل لا تضـــيع

ما كنت أعزك الله أظن أن الإجماع ينعقد على فضل وال ، ولا الأكف تمد في سبيله ضراعة من أجله وسؤال ، فالناس في الولاة على اختلاف أحوال ، بين معـاد وموال ، ومتوقع عقاب ومؤمل نوال ، حتى خضت بحر أهـــوال ، وجنحت شمس ولايتك إلى وقت زوال ، فظهر أنه ثوب لم ينسج على منوال ، وعنوان قبول من الله متوال ، ولم يكن إلا أن أعملت الرحلة وأزمعتها ، ولفقت العزيمة وجمعتها ، وشرعت في أن أحقق الأخبار التي عنك سمعتها ، فنغص سروري الواقع ، وأوحشتني الرسوم البلاقع ، وساءتني المواقع ، ثم تدارك الخلاق والحمد لله الرافع ، وبطل بتـــرياق الخواطر ذلك السم الناقع ن فسكن الرعد ، وأنجـــز الوعد ، وسبط الجعد ، وساعد وجهتي السعد ، ولله الأمر من قبل ومن بعد ، ووفدت على منزلك مطلا على القبيل والعشير ، مع البشير ، ومزاحما إيـــاه في زحمة المسير ، فلو لم يكن لله على مِنَّة إلا هـذه المِنَّية التي وكفَت ، لأحسبتك وكفَّت ، ولوت وعطفت ، وحجت واعتكفت ، لا ارتهنت أمد الحياة شكر لساني ، واستدعت إدامـة ذكرى لمن لا ينساني ، فالحمد لله الذي نظّم الشمل لما اندثر ، وأحيا الرسم لما امَّحا ولا دُثر ، [وقد روينا الحديث وحققنا الأثر] وفيه أن الله أخذ بيد الكـــــريم كلما عثر ، وما زلت تسمعني الثناء الحائك ، وينشقني الحـمد رواحـك وريحانك ، فأقـول ربنا ما خلقت هذا باطـلا سبحانك ، فلما تجللت الحال ، يثنى عليك مثيرها وراعيها، وتعـرفت آثار عداك ن تكلف الألسنة بشـكر مساعيها ، علمت أن الله لا يهملك ، وأن حلـــمه يحملك ، وبصنعه يزينك ويجملك ، حتى ينجح من يؤلك ، وهممت أن أقـيم حتى أشافهك بهنائك ، واسرك بتعرف ثنائك ، إلا أني تعرفت أن الشغب تبيت منة تبعة ، ستزوى بفضل الله وترتفع ، وتنصرف بقدرته وتندفع، والذي حفظ جوهر الذات يجبُر عرض المال ، والذي أحسن في الماضي والحـــال ، يحسن في المنال ، وللإنسان حظ يستوفيه ، ورزق يفضل عنه او يكفيه ، وغدا لا يدري ما الله صانع فيه ، فرأيت أن أتصرف حتى أزورك بحول الله ، رضي البال ، ناجح الانتهاز في فـــــرص العز والاهتبال ، راشقا إلى هدى السعادة بأشد النبال ، جامعة ولايتك بين السهول والجبال ، وأحل بك وقعرك وادع ، وعزك لأنف الدهر جـــادع ، وأمرك بالعز صادع ، فما أحرى دهرك أن يضن منك بالذخيـــرة التي أزرت بها كف هذه الأزمان الأخيـرة ، ليستدل على ما ذهب

من الخيرة ، ومع العسر يسر ، والأيام رطِب وبسر ، وصفقة الفضل لا يتعقبها خسر ، والله يتولاك ويحرس علاك ، ويحفظ عليك ما اولاك ، كما جعل المحامد حلاك ، والسلام يخصك ورحمة الله وبركاته . » ([7])

الأسئلة للفهم والمناقشة :

- تغلب على الصعوبات اللغوية باستخدام المعجم ، ومراعاة السياق في توجيه المعنى .

- حدد الأركان الأساسية البانية لهذه الرسالة ، عن طريقة المقاطع .

- ما هي البواعث التي حفزت لسان الدين على تأليف هذه الرسالة ، اعتماد على ما جاء فيه ، أو على مصادر أخرى من خارجها ؟

- في النص إشادة بفضائل الحسن بن يحيى عددها بالترتيب الذي وردت فيه .

- اتخذت هذه الرسالة شكلا فنيا مختلفا في بعض جزئياته عن الرسائل المشرقية ، أين يظهر هذا الاختلاف ؟

- تعددت المصادر التراثية في هذه الرسالة وتنوعت ، اذكرها ، مبينا مدى عمق ثقافة ابن الخطيب وتنوع روافدها من خلال معجمه اللغوي .

- ظاهرة التلوين الأسلوبي من الظواهر البارزة في هذه الرسالة ، بين أثرها في البناء الجيد للرسالة عنده .

- أفرط لسان الدين في الزخرفة اللفظية ، بين أنواعها في هذه الرسالة .

وضعنا هذه الأسئلة لتكون معالم يستعين بها الطلبة لفهم هذا النص ، حتى لا تتشعب عليهم الأمور ، فالإحاطة بالموضوع من كل جوانبه ، أمر يصعب تحقيقه ، إذ لا بد من تحديد الأهداف المرجوة من الدرس ، فما لا يدرك كله لا يترك جله .

---

[7] - لسان الدين بن الخطيب : ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع القاهرة ط1 ج2 1998 ص 196 - 198

ابن زهر الإشبيلي : الطبيب الأديب

إن النهضة الغنائية كانت من دواعي ظهور هذا الفن الجديد ، فقد نشأ الموشح في جو من الموسيقى والغناء ، فالنظم الرقيق والمعنى اللطيف والألفاظ العذبة ذات الجرس الموسيقي والأداء المباشر أو السهل الواضح ، يسيطر على الموشح ويطبعه بطابعه ، حيث اعتمد على التنويع في النغم ، وهذ يتطلب « المعرفة بالموسيقى في تغيير الأوزان وتنويع القوافي ، وتقاس مقدرة الوشاح ببراعته في صياغة العبارة ، وأداء المعنى الطريف الجديد ، او المولد من العتيق في لبوس حسن من الشكل المعجب والنغم البارع » ([1])

هناك علاقة بين الشعر الفرنسي الإسباني القديم الذي كان ينشده شعراؤها المعروفون بشعراء التروبادور Troubadoursوبين فن الموشحات في مطلع القرن الثاني عشر الميلادي ، ولكن هذا التشابه لا يكفي ليحل لنا مشكلة التأثير المتبادل ، وهي نتيجة لا تزال تحتاج إلى مناقشة ، ولا يمكننا النظر إليها كحقيقة لا يعتورها الشك ، ولكن إن شككنا في مدى ه>ا التأثير وشكله ، فلا يمكننا أن ننكر وجوده . ([2])

هذا الفن – شعر الموشحات - لم يحدث فجاءة على شكله التام ، وهو لم ينظمه الشعراء دون أن يلقى مقاومة من الشعراء والنقاد ، فقد كان يرى فيه المحافظون خروجا عن القديم وبدعة شعرية لم يألفوها ، فعابوا لذلك أصحابه في الغرب وفي الشرق ، واعتبروه ضعفا وظاهرة من ظواهر الانحطاط الأدبي .

عرض الموشح : أيها الساقي

وهو من الموشحات الذائعة الصيت ، والبالغة الدقة والتصوير ، يقول أبو بكر محمد بن زهر الإشبيلي ولد سنة 507ه وكان طبيبا وأديبا ، اتصل بدولة المرابطين ثم بدولة الموحدين ومات مسموما في آخر سنة 595ه من شعر ظاهره التغني بالخمرة ، لكنها عروس شعر تقليدي ، كان يحلوا لهم أن يبدؤوا به موشحاتهم.

أيها الســـــاقي إليك المشتكى قد دعونـــــاك وإن لم تسمع

[1] - محمد رضوان الداية : في الأدب الأندلسي دار الفكر المعاصر بيروت ط1 2000 ص 192

[2] - جودت الركابي : في الأدب الأندلسي دار المعارف بمصر ط2 1966 ص 286

وناديم همت في غـــــرته

شربت الـــراح من راحته

كلما استيقظ من سكرته

جذب الــزق إليه واتـــــــكا وسقاـــــــــــني أربعا في أربع

ما لعيني عشيت بالنظر

أنكرت بعدك ضوء القمر

وإذا شئت فاسمع خبري

عشيت عيني مــن طول البكا وبكى بعضي على بعضي مـــعي

غصن بان مال من حيث استوى

بات من يهواه من فرط الجـــوى

خفق الأحشاء موهون القـــوى

كلما فكـــــــــر في البين بكى ويحه يبكي لِمـــــــــــا لم يقع

ليس لي صبر ولا لي جلد

ما لقومي عذلوا واجتهدوا

أنكروا شكواي مما أجد

مثل حـــــالي حقها أن تشتكي كمد اليـــــــــأس وذل الطمع

كبد حرى ودمع يكف

تعرف الذنب ولا تعترف

أيها المعرض عما أصف

لقـــــــــد نما بقــلبي وزكا لا تقـــــل في الحب أني مدعي

جدول المقارنة بين الموشح والقصيدة العمودية (قصيدة ابن هانئ الأندلسي)

المقارنة	الموشح	العمودية القصيدة
المناسبة		
الشكل / المبنى		
الإيقـــــاع		
القافيـــــة		
اللغـــــة		
الموضوعات		

الموشح ومكوناته :

سميت موشحات تشبيها لها بوشاح المرأة المرصع ، لما فيها من تلوينات ، وقد حرص الشاعر على مخاطبة محبوبته في هذه القصيدة بصيغة المذكر ، ولعل ذلك يعود إلى عدم التعريض بالمحبوبة والإشهار بها ، سيرا على خطى من سبقوه من الشعراء وتقليدا لهم .

تختلف بنية الموشح عن بنية القصيدة العربية التي تقوم على نظام البيت الشعري المكون من الصدر والعجز ، فالموشح يتكون من الأجزاء التالية :

1- **المطلع :** وهو الذي يبدأ به الموشح ، وهو في هذه الموشحة .

أيها الساقي إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

والمطلع ينقسم إلى قسمين ، كل قسم يسمى (غصنا) وقد يخلو الموشح من المطلع فيسمى (الأقرع) وإذا وجد يسمى (تاما) .

2- **الدور :** وهو مجموعة من (الأسماط) التي تأتي بعد المطلع مباشرة ، يسمى الواحد منها سمطا ، والدور في هذه الموشحة يتكون من ثلاثة أسماط هي :

ونديم همت في غـــــرته

وبشرب الراح من راحته

كلما استيقظ من غفوته

3- **القفل** : وهو يأتي بعد (الدور) مباشرة ، ويشبه (المطلع) من حيث عدد (الأغصان) وهو في هذه الموشحة .

جذب الزق إليه واتكا وسقاني أربعا في أربع

4- **البيت :** يتكون من الدور والقفل .

5- **الخرجة** : وهو آخر جزء في الموشح ، وهي تشبه القفل في الوزن والقافية وهي في هذه الموشحة .

قد نما حبك عندي وزكا لا تقل في الحب أني مدعي ([3])

[3]) - جودت الركابي : في الأدب الأندلسي ص 294-298

التناص في رواية الصورة الاخيرة للسامري الحيلح أبو البقاء الرندي ومرثيته المشهورة

الأدب الأندلسي كان يصور حياة الأندلسيين وأرضهم وسماءهم ، يصور انتصاراتهم واغتباطهم بتلك الانتصارات ، و يسجل كم هم سعداء حين ترتفع راية الإسلام خفاقة في كل بقعة يفتحونها ، ويشيد بجهود الخلفاء والمراء والقادة المنتصرين ، ولكنه لا ينسى أن يصور حالات التراجع والنكبات التي حلت بالمسلمين على أيدي الفرنجة الحاقدة على الإسلام والمسلمين ، وهذا الأدب في الغالب صور حزينة تنجم عن كارثة أو نكبة .

أبو البقاء الرُّندي صالح بن شريف نسبة إلى رُندة قرب الجزيرة الخضراء بالأندلس التي ولد بها سنة 601 هـ برع في الشعر والنثر ، توفي سنة 684 هـ تاركا ديوان شعر يضم مختلف الأغراض الشعرية ، عند مطلع عام 1492 م التقى الملكان فرديناند وإيزابيلا بالسلطان أبي عبد الله الشقي آخر ملوك غرناطة ، بجانب جامع صغير قريب من النهر ، وهناك سلماه ابنه الذي كان مرهونا ، فضمه إلى صدره وأخذ يقبله ، ثم سلم مفاتيح غرناطة إلى الملك قائلا : هذه المفاتيح هي آخر ما بقي من سلطان العرب في إسبانيا ، خذها فقد أصبح لك ملكنا ومتاعنا وأشخاصنا . [1]

نشأ غرض رثاء المدن في الشعر الأندلسي ، لأمر جاءت به الظروف التي عاشتها حاضرة الأندلس ، نتيجة لطمع الأعداء وجبن الأبناء عن نصرة دين الله وحماية أرض الجدود التي بذلوا فيها الغالي والنفيس ، ولعل نونية أبي البقاء الرندي من أروع وأشجى ما جادت به قريحة شاعر أندلسي التي تتحدى السلوان والنسيان . [2]

نظمت هذه القصيدة عندما تهاوت المدن الإسلامية في الأندلس ، الواحدة تلو الأخرى ، حينها هب الشعراء إلى تصوير المصائب والكوارث التي انجرَّت عن ذلك ، وذلك لاستنهاض الهمم ، مطلقين

---

[1] - ينظر محمد أبو ربيع : في تاريخ الأدب العربي القديم ، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان الأردن 1990 ص 187

[2] - عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية بيروت د.ت ص 325

نداءات الاستغاثة علها تلقى آذانا صاغية ، وهذا أبو البقاء الرُّندي يصور النكبة الأندلسية في مرثيته المشهورة :

لكـــل شيء إذا ما تم نقصـــــان فلا يغر بطيب العيش إنســـــان

هـــي الأمـــور كما شاهدتها دول من سره زمـــــن ساءته أزمـــان

أين الملوك ذوو التيجان مـــن يمـن وأيـــن منهم أكاليل وتيجـــان ؟

وأين ما شـاده شـــــداد في إرم ؟ وأين ما ساسه في الفرس ساسان ؟

وأين ما حازه قارون مـــن ذهب ؟ وأين عـاد وشـــداد وقحطـان ؟

أتى على الكل أمـــر لا مـــــرد له حتى قضوا فكأن القـــوم ما كانوا

وصار ما كـــان من ملك ومن ملك كما حكى عن خيـال الظل وسنان

دهى الجزيرة أمر لا عـــــــزاء له هـــــوى له أُحـــد وانهدَّ ثـهلان

فاسأل بلنسية ما شـــأن مرسية وأيـــن شاطبة أم أيـــن جـيان ؟

وأيـــــن قرطبة دار العلوم فكم مـــن عالم سما فيها له شـــان ؟

قـــــواعد كُنَّ أركان البـــلاد فما عسى البقاء إذا لم تبق أركـــان ؟

تبكي الحنيفية البيضاء مـــن أسف كما بكى لفـــراق الإلف همـــدان

على ديار مـــن الإســـلام خالية قـــد أقفرت ولها بالكفر عمـــران

حيث المساجـــد صـــارت كنائس ما فيهن إلا نواقيـــس وصـــلبان

حتى المحاريب تبكي وهي جامـــدة حتى المنابـر تـــرثي وهْي عـــيدان

كم يستغيث بنو المستضعفين وهم قتلى وأســـرى فما يهتز إنســـان ؟

يا مـــن لذلة قـــوم بعد عـــزهم أحـــال حالهم جَـــوْر وطغـــيان

بالأمس كانوا ملوكا في منـــازلهم واليوم هم في بلاد الكـــفر عُبـــدان

ولـــو رأيت بكاهم عند بيعـــهم لهالك الأمـــر واستهوتك أحـــــزان

وغـــادة ما رأتها الشمس بـــارزة كأنما هي ياقـــوت ومـــــــرجان

يقودها العلج للمكروه مكـــــرهة والعـــــين باكية والقلب حيـــران

لمثل هذا يذوب القلب مـــــن كمد إن كان في القلب إســـــلام وإيمـان

هل للجهاد بها مـــــن طالب فلقد تزخرفت جنة المـــــأوى لها شـان

وأشرف الحور والولدان مـن غـرف فازت لعمري بهذا الـخير شجـــعان

ثم الصلاة على المختار مـــن مضر ما هبت ريح الصبا واهتز أغـــصان ([3])

تبدأ هذه القصيدة بمطلع حكمي دال على قصد الشاعر ، وهو تهيئة لما سوف يرد من أبيات بعده ، وكأن الشاعر يحاول أن يجعل القارئ في جو القصيدة ، فغالبية قصائد الرثاء تلجأ إلى العقل من أجل المحافظة على تماسك المتلقين لخبر الفقد ، لأن مأساة الأندلس عظيمة ووقعها شديد ، واختيار أبي البقاء الرُّندي لمسألة التمام والنقصان كان اختيارا موفقا ، ويستشهد على صحة هذه القطعية في الحكم بأمور الدنيا ، من أنها دول ، تارة تكون معك تدعمك وتسرك ، وطورا ضدك تحزنك وتسيء إليك ، وهو حال الدنيا ، لأنها دار فناء لا بقاء ، ولا ثبات فيها لحال ، وفجائع الدهر تفسد وتدمر وتفني .

الأسئلة للفهم والمناقشة :

نحاول الإجابة على هذه الأسئلة ، لمقاربة بعض الجوانب المتعلقة بالمضمون تارة والمتعلقة بالشكل تارة أخرى .

- أين التمس الشاعر التأسي لحزنه ؟
- ما الغرض من الاستفهام في البيتين الرابع والخامس ؟
- لماذا عجز المسلمون في شتى الأقطار مد يد العون إلى الأندلس ؟ وكـــأن لسان الحال يقول : لقد أسمعت لو ناديت حيا .

---

[3] - ديوان أبي الطيب الرندي : تحقيق ودراسة ، حياة قارة ، مركز البابطين لتحقيق المخطوطات الشعرية ط1 2010 ص 232 - 233

ـ في القصيدة تصوير لهدم القيم الإنسانية من طرف الإسبان ، علل ذلك .

ـ كيف ترى بيئة الشاعر الاجتماعية والتاريخية من خلال هذه القصيدة ؟ استدل على ذلك

ـ وضح أثر التكرار الوارد في القصيدة وأثره في المعنى .

ـ استنتج أهم الخصائص الفنية لهذا الغرض .

صفي الدين الحلي شاهد على العصر

درج بعض الدارسين المحدثين – ومنهم شوقي ضيف – على وصف العصر المملوكي بتخلف الحركة وانحطاط مستوى الحياة الأدبية والثقافية ، وأغفلوا ذكر المفكرين والأدباء التي تباهي بأسمائهم كتب الأعلام والتراجم ، وتجاهلوا ما أنتجوه من موسوعات علمية وأدبية ، تشغل حيزا كبيرا في مكتبة التراث العربي الإسلامي ، وقد أرجع الكثير منهم هذا التخلف والانحطاط إلى عدة أسباب أهمها – في نظرهم – جهل الأمراء والسلاطين المماليك باللغة العربية ن وعدم تشجيعهم العلماء والأدباء ، ويكفي في هذا المضمار النظر إلى المناهج الدراسية في البلدان العربية التي تبرر عدم تدريس هذا العصر بحجة أنه عصر ركود وانحطاط . ([1])

وهذا الموقف يجافي الحقيقة والواقع ، فكيف يجهل السلاطين المماليك اللغة العربية ويبقونها لغة رسمية للدولة ؟ وقد أنشأوا مدارس خاصة لأبنائهم ، وانتهجوا تربية صارمة لتعلم العربية وعلومها وعلوم القرآن والسنة ثم العلوم العسكرية وفنون القتال ، وساروا على سنة الأيوبيين في رعاية العلماء وطلاب العلم وتنشيط الحركة الفكرية ، ولم يكن هذا الأمر مقتصرا على علماء مصر والشام ، بل امتدت الرعاية لتشمل العلماء المهاجرين من بلدان المغرب الفارين من زحف الفرنجة على الأندلس ، وكذلك الناجين من الطوفان المغـــولي الذي دمر بغداد وبعض مدن الشرق الإسلامي ، ومن هؤلاء العلماء نذكر على سبيل المثال : ابن سعيد المغربي صاحب كتاب (المغرب في حلى المغرب) وابن عصفور حامل لواء العربية في الأندلس ، وعبد الرحمن بن خلدون ، وابن خلكان صاحب كتاب (وفيات الأعيان) وابن مالك صاحب اللفية المشهورة في النحو وغيره كثير ، فبنوا المدارس وألحقوا بها المكتبات العامة والخاصة في شتى مدن الشام ومصر ، واحتوت هذه المكتبات الآلاف من الكتب والموسوعات .

وجاء الحكم العثماني فدخلت باقي الأقطار العربية تحت عباءة العثمانيين ، فأبقوا الحكام المماليك على حالهم في حكم مدن الشام ومصر ، كما أبقوا معظم حكام الدول العربية التي لم تكن

[1] - نبيل خالد أبو علي : الأدب بين عصرين : المملوكي والعثماني ج1 دار المقداد للطباعة غزة فلسطين 2007 ص 39

تحت نفوذ المماليك في مناصبهم ، كما عينوا حكاما عثمانيين يمثلونهم في حكم بعض هذه الدول ، لذلك نعمت جميع هذه البلاد بقدر كبير من الاستقلال الفكري والثقافي ، وكان للسلطان عبد الحميد الأول اهتمام كبير بالعلم والأدب ، والذي اشتهر بقصيدته النبوية الشريفة سنة 1191 هـ ومنها قوله :

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي ما لي سواك ولا ألوي على أحـــــد

فأنت نور الهدى في كـــــل كائنة وأنت سر الندى يا خيـــــر معتمد

وأنت حقا غياث الخلق أجمعهم وأنت هادي الورى لله ذي السـدد

يا من يقوم مقام الحمد منفـردا لله الفـــرد لم يولد ولم يـلد ([2])

وراج غرض المديح النبوي في عصر المماليك رواجا ملحوظا ، ولعل ذلك يرجع إلى جملة عوامل منها : إن العصر كان عصر تعصب إسلامي وغيرة دينية واسعة ، بسبب حروب الصليبيين والتتار وأطماعهم في أملاك المسلمين والقضاء عليهم وعلى دينهم ، ومنها أن العصر كان عصر ظلم وإرهاق بالضرائب واستبداد من الحكام ، فلاذت الرعية تبث آلامها بالتوسلات إلى الله سبحانه وتعالى أن يكشف عنها الغمة ، وأشرف التوسلات ذكر النبي والتشفع به إلى الله ، وهناك عامل آخر وهو إعجاب الشعراء ببردة البوصيري التي وجهت المديح النبوي وجهة جديدة لم تكن له من قبل ، وهي استخلاص المديح النبوي من النزعات السياسية وقصره على إظهار الحب للنبي ومدينته وسيرته ، ثم التقرب به إلى الله .([3])

صفي الدين الحلي ولد بالحلة سنة 677 هـ وتوفي سنة 752هـ ببغداد زمن الطاعون ، كان شيعيا قحا ، وشيعته شديدة البروز في شعره ، وكان فارسا شجاعا ، شارك في الحروب التي وقعت بين جيش المماليك بقيادة السلطان قلاوون مع جيش هولاكو ، وصفي الدين الحلي نسبة إلى مدينة الحلة ، وهي من مدن الفرات بالعراق ، وتقع بين الكوفة وبغداد ، نشأ في بيت عريق رفيع المنزلة ، درس اللغة والأدب وعمل على اكتساب العديد من المعارف والثقافات ، فتعددت وتنوعت مصادر معرفته ، كما

---

[2] - المرجع نفسه ص 40 - 45

[3] - المرجع نفسه ص 70

تنوع أسلوبه ومنهجه وأدواته التعبيرية ، فقام بحفظ الشعر ونظمه ، وأتقن جميع علومه وألفاظه ، حفظ القرآن الكريم في طفولته ، وقام بدراسة العلوم الإسلامية فضلا عن التفسير والحديث والفقه ومارس الفروسية والصيد . ([4])

ويرى البعض أن شهرة صفي الدين بلغت في عصره ما بلغته شهرة أبي الطيب المتنبي ، واستقدمه وجهاء زمانه وسلاطينه ، وأغدقوا عليه ، ودارت حوله أخبار ونوادر شعرية واجتماعية سجلها النقاد ورواها المؤرخون ، وقاسى من أهوال الأسفار وفراغ الغربة وثقلها ، فإذا به يكتب عن ذلك ، فترك لنا صفحات عديدة عن مختلف ظروف حياته ، خائضا في شتى أفانين القول الشعري آنذاك ، مع اهتمامه الكبير في فن المجاراة والتقليد .([5])

يعد الحلي واحدا من الذين تبوؤوا مكان الصدارة بين شعراء المرحلة في الأدب العربي ، نتيجة لما تركه هذا الشاعر من إرث شعري كبير ، وما تناوله من أغراض شعرية متعددة وموضوعات مختلفة ، وما مارسه من أفكار ومعاني جميلة ، جسد من خلالها خياله الواسع ورؤاه الشعرية وطاقاته الفنية ، ضمن حدود عصره وتقاليده الموضوعية ، حتى أصبح علما من أعلام أدبنا في العصر الوسيط ، واعتبره نقاد عصره في الطبقة الأولى من شعراء القرن الثامن الهجري .

يقول في قصيدة (المجد لمن يخاطر) أعز الله أنصاره على التحرز من المغول ومنافستهم عند اختلافهم واضطراب أحوالهم ويمدحه وهي من بحر البسيط :

لا يمتطي المجد من لم يركب الخطرا ولا ينال العلا مـــــن قدم الحذرا

ومن أراد العـــــــلا عفوا بلا تعب قضى ولم يقض من إدراكها وطـــرا

لا بد للشهد مـــــــن نحل يمنعه لا يجتني النفع من لم يحمل الضررا

لا يبلغ السؤل إلا بعـــــــد مؤلمة ولا تتم المـــــــــنى إلا لمن صبرا

وأحزم الناس من لو مات مـــن ظمإ لا يقرب الورد حـــتى يعرف الصـدرا

---

[4] - رفد إياد عبد المجيد : شعر صفي الدين الحلي ، دراسة تحليلية فنية ، دار دجلة الأردن ط1 2015 ص 27-28

[5] - ياسين الأيوبي : صفي الدين الحلي دار الكتاب اللبناني بيروت 1971 من مقدمة الكتاب ص ب

وأغزر الناس عقلا مـــــن إذا نظرت عيناه أمرا غـــــــــدا بالغير معتبرا

فقد يقال عثار الرجـــــل إن عثرت ولا يقال عثار الـــــــــرأي إن عـــثرا

من دبـــــــــر العيش بالآراء دام له صفوا وجـاء إليه الخطب معـــــتذرا

يهون بالرأي ما يجـــري القضاء به من أخطأ الرأي لا يستذنب القـــــدرا

من فاته العز بالأقـــــــــلام أدركه بالبيض يقدح مـــن أطرافها الشـــررا

بكل أبيض قد أجـــــرى الفرند به ماء الردى فلو استـــقطرته قـــــطرا

خاض العجاجة عربانا فما انقشعت حتى أتى بدم الأبطـــــــــال مؤتـــزرا

لا يحسن الحلم إلا في مـــــــواطنه ولا يليق الوفا إلا لمـــــــــن شـكـرا

ولا ينال العلا إلا فـــــــــتى شرفت خلاله فأطـــــــاع الدهر ما أمـــرا

كالصالح الملك المرهوب ســـــطوته فلو توعد قلب الدهـــــــر لانفـطرا

لما رأى الشر قد أبـــــــدى نـواجذه والغدر عن نابه للحـــرب قـــد كشـرا

رأى القـــــــــسي إنـاثا في حقيقتها فعافها واستشار الصـــــارم الذكرا

فجرد العزم من قتل الصـــفاح لها ملك عن البيض يستـــغني بما شـهرا

يكاد يقرأ مـــــــــن عنـــوان همته ما في صحائف ظهر الغيب قـد سطرا

كالبحر والدهـــر في يومي ندى وردى والليث والغيث في يومي وغى وقـــرى

ما جاد للناس إلا قبل ما ســـــألوا ولا عفا قط إلا بعـد ما قـــــــــدرا

لاموه في بذله الأموال ، قلت لهم هل تقدر السحب ألا ترسل المـطرا ([6])

أسئلة لمقاربة القصيدة فهما ومناقشة :

ـ استخرج النواة المعنوية التي تستند إليها سائر المعاني الحكمية في هذه القصيدة ، وعلل لذلك .

[6] - صفي الدين الحلي : الديوان ، تقديم سليم البستاني دار صادر بيروت د.ط ، د . ت ص 69-70

ـ في مجموع الحكم قيم عديدة ، استخرجها ثم صنفها إلى قيم إنسانية واجتماعية ودينية ...

ـ يبدو الشاعر باحثا عن المجد وقد فرط فيه أهل زمانه ، بين المقابلات التي توضح ذلك في القصيدة .

ـ ادرس الحقول المعجمية ، وأبرز حقلي الفضيلة والرذيلة ، وبين قيمة ذلك في حمل المتلقي على التأثر والاقتناع .

ـ ما هي الصفات التي وصف بها صفي الدين الحلي السلطان الناصر ، وكيف يبدو لك الشاعر من خلال هذا الجزء من المدحية ؟

ـ ادرس نظام التلفظ في هذه القصيدة ، بأن تحدد طرفي الحوار ونوع العلاقة بينهما .

ـ ادرس الصيغ الصرفية في الأبيات : 3 ، 4 ، 5 وبين دورها في إنشاء نغم إيقاعي يزاوج روح القصيدة .

ـ أمعن النظر في أساليب الخبر الواردة في هذه القصيدة ، وبين كيف وزعها الشاعر وتوسل بها لتصوير حال من يخاطر من أجل المجد والرفعة ؟

ـ ميز العلاقات بين الوقفتين : النحوية الدلالية والعروضية الإيقاعية ، وحدد مواطنها في القصيدة .

ـ صنف عناصر الصور الشعرية الواردة في القصيدة حسب انتمائها لعالمي الحس والتجريد ، مبينا مدى خرقها حدود العالم الحسي وما بها من تراسل الحواس ؟

ـ في القصيدة انزياحات بلاغية ونحوية ، حددها وبين وضعها الطبيعي في اللغة المعيارية وصور الخرق أو الانزياح .

ـ بين الوظيفة التي تؤديها الصورة الشعرية الواردة في البيت الأخير :

لاموه في بذله الأموال . قلت لهم هل تقدر السحب ألا ترسل المطرا

أبو حمو الزياني : السلطان الشاعر

إن دراسة حياة هذه الشخصية الجزائرية الثرية ، كونه سلطانا وشاعرا وقائدا ، لا تكون مجدية إلا بمعرفة الخلفية التاريخية التي تخبر عن كينونة أحواله وأحوال زمانه ، وهو ما يسهل علينا فهم إنتاجه الأدبي : شعره ونثره .

الدولة الزيانية (633 هـ – 962 هـ) أصغر دويلات المغرب العربي ، أسسها يغمراسن بن زيان سنة 633هـ ، وجعل تلمسان عاصمة لها ، سقطت على يد الإسبان سنة 962هـ ، ولد أبو حمو الثاني الزياني سنة 723 هـ عينه أبوه حاكما على سجلماسة .

الجانب السياسي :

لقد اعتلى أبو حمو موسى الثاني عرش تلمسان وسط اضطرابات مختلفة ، عصفت بالمغرب الإسلامي كله ، ولعل أهم تلك الأسباب تلك الأحداث السياسية المقلقة ، تنازع مملكتين قويتين المرينية والحفصية ،

« إذ أن موقع الدولة التي شيدها بنو عبد الواد ، جر عليها الويلات والدمار ، لأنها قامت في قطر محصور بين دولتين منافستين لها ن الدولة الحفصية في الشرق [...] والدولة المرينية في الغرب ، فهاتان الدولتان استشعرتا الخطر ببزوغ نجم بني عبد الواد من جديد ، خاصة مع ملك قوي وطموح كأبي حمو ، وهو وريث أجداده في كل شيء ، إذ كان ملوك آل زيان يفوقون بني مرين والحفصيين حربيا وسياسيا » . ([1])

حاول صاحب تلمسان رغم الصعوبات أن يدافع عن حدود إمارته ، بل وأخذ في التوسع كلما واتته الفرصة ، ليقيم دعائم دولة قوية ، هذه الدولة التي تعددت الحروب بينها وبين جيرانها ، فكم من مرة تحالفوا ضدها ، كما هددت بعض القبائل العربية استقرار مملكة أبي حمو داخليا ،بل كانت

[1] - محمود بوعياد : جوانب من الحياة في المغرب الأوسط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر د.ت ص 16

بعض مثيلاتها من القبائل البربرية شريكة لها في ذلك أيضا ، فقد حسدت زناته بني عبد الواد على نعمتهم فتحالفت عليهم مع أعدائهم . ([2])

وترتب على هذا أن تعرضت دولة بني عبد الواد لهزات خطيرة ، كادت تقضي على كيان الدولة نهائيا ، لولا استماتة الملك الزياني في الحفاظ على ملكه ، نتيجة لما كان يتمتع به من حنكة سياسية وشجاعة عسكرية .

هذا هو الملمح السياسي الداخلي والجواري لعصر شاعرنا أبي حمو الزياني ، لا يشجع أي ملك أيا كان أن يؤسس دولة قوية تنعم بالرفاهية وتتمتع بنصيب من الأمن والاستقرار ، ومنه لا يتسنى للأدب أن يتطور ويزدهر ، ولكن مع أبي حمو حدث العكس ، فرغم سواد المشهد سياسيا إلا أنه استطاع أن يبدع ويشجع على الإبداع في كل المجالات .

وقد دفعت المأساة الأندلسية بإخوة الإسلام هناك إلى الهجرة ، هربا من وحشية المسيحيين وبطشهم ، وتعطشهم الشديد لدماء المسلمين ، أولئك المهاجرين الذين أخذوا يتسللون أفواجا نحو المغرب ، وكان حظ الزيانيين منهم كبير ، فاستوطنوا حواضر المغرب الإسلامي ونالت تلمسان منهم نصيبا كبيرا . ([3])

الجانب الاجتماعي :

إن الحالة الاجتماعية لعصر الشاعر أبي حمو ، كانت لا تقارن أبدا بالأوضاع السياسية ، فرغم الحرب والفتن ، إلا أن المجتمع كان يتفاعل إيجابيا ليطور نفسه اقتصاديا وحضاريا ، فقد استطاع أبو حمو أن يجعل من حاضرته غاية في الجمال والتنسيق ، يسودها النظام الدقيق من خلال جملة من القوانين ، ذلك التطور الاجتماعي الذي أوجده الازدهار الاقتصادي ، أحدث نهضة حضارية وفكرية وثقافية ، لا تقل شأنا عما ارتقى إليه الأشقاء في المشرق والأندلس .

الجانب الثقافي :

---

[2] - ينظر محمد طمار : تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر د.ت ص 107

[3] - ينظر محمد طمار : الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1983 ص 177

يرجع سبب النهضة الفكرية والثقافية إلى موقع الدولة الزيانية الاستراتيجي ، إذ أنها جزء حيوي من شمال إفريقيا ، ذات صلات متينة بالمراكز العلمية في المشرق والأندلس ، حيث كانت في حركة دائمة ، سواء بسبب كونها عقدة مواصلات لطرق القوافل التجارية بين التل والصحراء أو لأنها محطة عبور لقوافل الحجاج الذين يغدون ويروحون ، لقد تعددت الأسباب التي جعلت تلمسان صرحا علميا وثقافيا كبيرا يضاهي عواصم العلم المشهورة إذَّاك كمصر وغرناطة وتونس وفاس وبجاية . ([4])

يضاف إلى ذلك سبب جوهري كان له التأثير الأكبر على تلك النهضة الحضارية ، حيث تنافس الحفصيون والزيانيون والمرينيون في تقريب العلماء والأدباء من مجالسهم ، فتعددت المناظرات العلمية وازدهرت الفنون في المغرب العربي ، وهكذا تسارعت عجلة الحضارة في تلمسان خاصة في مجالي الفكر والأدب ، حيث عرفت العديد من المفكرين والأدباء ورعتهم وظاهرتهم على تفتيق عبقرياتهم وإخصاب قرائحهم .

عرض النص : نداء المضطر

يقول أبو حمو في إحدى مولدياته المعنونة بـ (نداء المضطر) من بحر البسيط :

يا من يجيب نداء المضطر في الديــج ويكشف الضر عند الضيق والهـــــوج

ولطف رحمــته يـــــأتي على قنـط إذ القنوط دعــا يا أزمـة انفـــــــرجي

ومن إذا حل خطب واعترت نـــــوب أبدى من اللطف ما لم يجـــر في المهج

أني دعوتك جنح الليل يـــا أمـــــلي دعـــــــــاء مبتهل بالعفـــو منتـــهج

يا كاشف الضر عن أيوب حين دعــا قد مسني الضر فاكشف كرب كل شجي

أنت المنـــــــجي لنوـــــح في سفينته ومخـــرج يونس مـــــن ظلمة اللجج

يا من وقى يوسف الصديق كـــل أذى لما رمـوه بجب ضـــــيـــق حـــــرج

---

[4] - تجدر العودة إلى يحي بوعزيز : تلمسان منشورات دار الثقافة والسياحة الجزائر د. ت ص 7 والمهدي البوعبدلي : أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ مجلة الأصالة الجزائر العدد 26 1975 ص 124

أجاب يعقوب لما أن بـــكى وشـــكا وجاءه منه لطـــف لم يخـــله يجـي

وعـــــــاد بصيرا حـــين هب له نسيم نشـــر القميص الطيـب الأرج

أنجى من النار إبراهيم حـــــين رمي فيها وعـــادت سلاما دون ما وهـــج

يا مـــن تكـــفل موسى وهو منـــتبذ باليم في جـــوف تابـــوت على لجـج

وأمه مـــــن ألم الشـــــوق والهة فؤادها فـــــارغ مـن شـدة الوهج

يا مـــن أعاد لها مـــن بعد ما يئست موسى وقربـــه في المرسلـــين نجي

يا من كفى المصطفى كيد الأولى كفروا إذ جاءهم بكتاب غـــــير ذي عـوج

يا من وقاه الردى في الغـــار إذ نسجت ببـــابه عنـــكبوت خـــــير منسج

وكلما حـــاولوا مكـــــرا له انقلبوا بالـــرعب ما بـــين مكبوت ومنـــزعج

مـــن قد أتى رحمة للعالمـــين وقـــد أحيا القلوب بوحي واضـــح الحجـج

من عطر الكـــون طيبا عند مولـــده وأشرق الأفـــق مـــن دور له يهج

مـــــن أنزلت فيه آيـــات مطهرة أنـــوارها كصبـــاح لاح منـــبلج

يبلى الجديـــدان أخـــلاق وجدتها مع الجديدين في نـــــور وفي بـــهج

في طيها كـــل علم ظـــل مندرجا وأي عـــلم لديها غـــير منـــدرج

وكم له معجـــــزات ما لها عـــدد جلت عن الحصر مـــن فـرد ومزدوج

عمت شفـــــاعته للخـــلق كلهم وبالوسيلة يـــرقى أرفـــع الـــدرج

محمد خـــــير خلق الله قـــاطبة نور الهـــدى وإمـــام الرسل والمـرج

يا حادي العيس عرـــج نحـو أربعة بالله عـــج بي على ذاك المحـــل عـــج

لله قـــــوم إلى مغناه قد وصلوا بالعـــزم إذ وصلوا الروحـــات بالدلج

ساروا فزاروا وفـرط الذنب أقعدني وقد مزجت بدمعي كـــل ممـــتزج

وقد تقلدت مـــــا لا يستطاع له من الخلافة أوهت من قـــــوى حججي

فكن نصـــيري فقد أصبحت مكتئبا والقلب مـــن نكث الأوزار كالســـــيج

قد ضقت ذرعا بزلاتي وكثـــــرتها فما اعتـــــــذاري إذا طولبت بالحجج

وكم عصيتك جهلا ثم تســـــترني وباب فضلك عـــــــــني غـــير مرتتج

إني سألتك بالسر الـــذي ارتفعت به السماوات والأرضون لـــــم تمـــج

أصلح بفضلك ما قد كان من خلل واجبر بحلمك ما قد بان مـــــن عـوج

واجعل لنا مخرجا في إثـــره فـــرج فكم تعامـــل بعد الضيق بالفـــــرج

وصل صلاة على المختار مـــن مضر ما لاحت الشهب في الآفاق كالسرج ([5])

دعاء الشاعر لله وتضرعه ، وتوسله إليه بمعجزاته المتجلية في الأنبياء ، كي يعفو عنه ويستجيب لندائه ، وحين نتأمل جمالية التناص في هذه القصيدة نجد أن التناص عند أبي حمو موسى له فعالية خاصة ، وقد أسهمت إسهاما كبيرا في تشكيل بنى فنية متميزة لقصائده (المولدية) حيث تنوعن أشكال التناص ، و>لك حسب الخلفية الثقافية والتاريخية والدينية التي اكتسبها الشاعر ، فنجدها في أغلب الأحيان استدعاءات من القرآن الكريم ، حيث ظهرت بصورة مكثفة ، يمكن لكل قارئ يملك كفاءة معرفية بالقرآن والسيرة النبوية أن يتعرف على مواطن التناص في هذه القصيدة دون مشقة كبيرة ، ونوجه تركيزنا إلى تناص الشاعر بما ورد في التراث الشعري العربي ، ومن ذلك قصيدة (المنفرجة) لابن النحوي والتي كانت محط تأثير كبير في الشعراء ال>ين جاءوا بعده ، يستحضرون معانيها وإيقاعها ورويها وتوجهها الديني ومطلعها :

اشتـــــــــدي أزمة تنفرجي قـــــــــد آذن ليلك بالبلج

وهناك تناص بمخافة المعنى ومن نماذجه :

يا حادي العيس عـــرج نحو أربعه بالله عـــج بي على ذاك المحل عج

[5] - أوردها صاحب بقية الرواد ج2 ص 150 – 153 وأبو القاسم سعد الله في أشعار جزائرية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر . د . ط 1988

فقد أخذ المعنى من قول ابن الفارض :

يا صاحبي وأنا البر الرؤوف وقــد بذلت نصحي بذاك الحي لا تعج ([6])

[6] - ابن الفارض : الديوان شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية بيروت 1971 ص 100

ابن عمار الجزائري : شاعر الطبيعة والجمال

أحمد بن عمار الجزائري من كبار علماء القرن الثاني عشر الهجري ، الثامن عشر الميلادي في الجزائر ، وأقدم مصدر يحدثنا عنه هو صديقه عبد الرزاق ابن حمادوش ، يقول :كان عمره سنة 1159 هـ حوالي أربعين سنة ، ويكون بذلك قد ولد حوالي 1119 هـ حسب ما رجح أبو القاسم سعد الله ، كانت ثقافته علمية ودينية عميقة ، ظهر ذلك من خلال مؤلفاته ، واستمد من أصوله الأندلسية الأدب والفن وحب الطبيعة والجمال ، اشتغل ابن عمار في وظائف مختلفة ، حيث تولى الفتوى في الجزائر بين سنوات 1180 – 1184 هـ ، وكان مالكي المذهب ، كما اشتغل مدرسا بالجامع الكبير بالعاصمة .

رحل ابن عمار إلى مجموعة من البلدان العربية كتونس والمغرب ومصر والحجاز ، بهدف طلب العلم وزيادة في التحصيل ومجالسة العلماء لتوثيق معلوماته ، وهو في مصر أخذ الطريقة الخلوتية (الرحمانية في الجزائر) وترك فيها رسالة من تأليفه ، كما تتلمذ على بعض مشايخ الأزهر منهم الشيخ خليل المغربي في مسجد الحسين بالقاهرة ، وكان ذلك مع صديقه الحسين الورتلاني ، ويذكر أبو راس في (فتح الإله) أن ابن عمار توفي بالبقاع المقدسة ، والقصيدة موضوع الدراسة في غرض الوصف ، وهي غاية في الإبداع الفكري والأدبي ، وفيها يعدد الأغراض الشعرية من وصف ومدح وهجاء وإعجاب يقول : من بحر الطويل .

وليلة أنس لذ فيها جـــــني السهر فناهيك مــن أنس جنيناه بالسهر

هصرت بها غصن المسرة والمـــــنى وجررت أذيال السعـــــادة والظفر

وفزت بمن أهوى على صولة النوى فنزهت فيه القلب والسمع والبصر

وبت وللبدر المنـــــير تضـــــــاؤل أغازل منه الحقف والغصن والقمر

فلا غصن إلا من رشيق قـــــوامه ولا بـــــدر إلا مـــــــن آزرته ظهر

فيا ليلة الأفراح والأنس طـــــولي قليلا ويـــا ليل المســـــــرة فاعتكر

ويـــــا صبح لا تصفر علينا فإننا غنينا بأسفار الغلائـــــــــل والغرر

إلى الله أشكو مـــا جنت ليلة اللقا على قلبي المشغوف من شدة القصر

فما التحفت شمس الأصيل بجنحها إلى أن بدا للصبح نـــــور قد انتشر

خليلي هل يسخو الزمـــــان بليلة تبسم فيه السعد عـــن شنب الوطر

ولست أظن الدهـــــر يأتي بمثلها ولا العيش يصفو طعمه من جنى الكدر

فأحبب بها مـــــن ليلة حميرية رشيدية لم يحوها زمـــــــن غبر

قطعنا دجاها والســـــرور منادم ندير كؤوس الأنس والسعد قـد حضر

ولا شمس إلا مـــن سماء كؤوسنا ولا قمر إلا محيا رشـــــا أغـــر

ولا طـــائر يشدو على غصن أيكة سوى شاذن شـــاد على نغم الوتر

شربنا على ضوئـــــين ثغر وغرة وجنحين مـــن ليل ومن حلكة الشعر

معتقة صهباء تعـــــزى لريقه ومنطقه لا للدنـــان ولا الســـكر

يدير كؤوسا مـــــن مدامة لفظه ويسعى بأخـــرى من معتقة الحور

رياحيننا صدغاه والـــــورد خده ومن ثغره البراق نقتطف الـــزهر

أما والذي أنشاه يستبعد الـــورى ويختلس الألباب ما هـــو بالبشر

لقد بهرتنا بهجة ولطـــــــافة محاسنه والخبر يغني عـــن الخبر ([1])

فقد وصف الشاعر ابن عمار تلك الليلة الساحرة التي ألهمته ، وجعلته ينظم لنا هذه القصيدة البديعة ، وهو في مأدبة علم وأدب أكثر من المأدبة المتعارف عليها ، ومن خلال هذا الوصف نلاحظ أننا في مجتمع راق ازدهر فيه الفن والأدب ، اجتمعت فيه قيم حضارية موحدة ، عرفت بعض نماذجها في مشارق الأرض ومغاربها ، خاصة في دمشق وبغداد وقرطبة ، إضافة إلى ذلك نجد معاني الأمل والتمني لعودة هذه الليلة الجميلة التي أسعدت الشاعر مع أصدقائه ، فهي ليلة متميزة لم يكن يمثلها زمن غبر ولا يأتي بمثلها زمن آت .

[1] - أحمد بن عمار الجزائري : ديوان أشعار جزائرية تح/ أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1988 ص 58 ، 59 ، 60

هذا الشعر الذي قيل في العهد العثماني يعبر عن متانة ثقافتهم وغزارتها ، وتمكنهم من البيان العربي والذوق الفني والثقافة الإسلامية الأدبية ، وتأثرهم بشعراء الأندلس وشعراء المشرق ، فيه رقة الألفاظ والمعاني وبعد الأخيلة ، إن بواعث الشعر المختلفة شكلت الأرضية الخصبة للشعراء ، لإفراغ كل ما يختلج في نفوسهم ، وتأثرهم بالأوضاع المتغيرة التي عاشوها في بلدانهم ، في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الطبيعية ، هذه الأسباب وغيرها أدت إلى تعدد الموضوعات الشعرية في العهد العثماني ، ونذكر منها الشعر الديني والصوفي والسياسي والاجتماعي إلى جانب الأغراض الشعرية الأخرى .

تميز أسلوب الشاعر ابن عمار في هذه القصيدة بالسهولة في اللفظ والسماحة في التركيب مع البساطة في المعاني والتكلف في البديع من سجع وتضمين واقتباس مكثف من القرآن الكريم والشعر العربي ، فالشعر كان واضحا ويظهر هذا من خلال القصيدة ، لأنه موجه لجميع طبقات المجتمع ، فهو الطريق الأمثل لإيصال الفكرة .

كان المستوى الصوتي أكثر بروزا ، حيث تكمن هذه الطاقة الصوتية في الكلمات والألفاظ التي حملت أصواتا مختلفة في وضوحها السمعي ، وقدرتها على إبراز المعنى ، إذ يظهر البناء الصوتي في قصيدة ابن عمار من خلال انتقاء الأصوات المجهورة (ز ، ج ، ل) والمهموسة (ف ، س) وهي أكثر استعمالا ، كي تكون منسجمة مع وحدات الجمل والتي أعطت حركية وتناغما صوتيا جميلا .وجاءت لتريح الشاعر وتعطيه الهدوء والسكون .

وصف الليلة نثرا :

« ولما افتر ثغر الزمان بعد عبوسه باسما ، وانشقت من نشر بشره أرائج ومواسما ، وراض السعد منه ما صعب بعد جموحه ، واقتاد الجد من إسعاده ما ند بعد ميله للضد وجنوحه ، وكسر الدهر من حدته ، ولان بعد شدته ، استدعانا الوزير الكاتب ، المشتمل على بهجة الثريا وظرف الكاتب ، الحائز من ذخائر المجد التليد والطريف ، المختبر من رواق العز تحت ظله الوريف ، مولانا أبو العباس أحمد بن عبد اللطيف إلى صنيع ما اصطنعه كسرى أنوشروان ، ولا افتخر بمثله سيف ابن ذي يزن في رأس غمدان ، شمر فيه عن ساعد الجود ، وضرب في تحصيل الفخر الأغوار والنجود ، فاحتللنا قصرا وما أدراك من قصر ، تقابل الواصف أوصافه بالحبس والقصر ، وتعبث محاسنه بالزهراء الزاهرة ، وتشرف شرفاته على النجوم الزاهرة ، وتزهو بدائعه على الزاهي والدمشق ، وتلهو

مقصوراته بقصور العراق ومدشق ، ما شئت من انفساح العرصات ، وارتفاع أرائك ومنصات ، ودسوت كأنها البدور بهالاتها محفوفة ، وزرابي مبثوثة ونمارق مصفوفة ، وفرش مرفوعة وأكواب موضوعة ، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة .

قطعنا ليلتنا به حتى الصباح ، نغازل غصون القدود الرجاح ، وبدور الوجوه الصباح ، ونسكب من حميا السرور أنهارها ، وننتشق من الثغور الباسمة أقحوانها وأزهارها ، ونقتطف الرياحين والورود من الأصداغ الرياضية والخدود النواضر ، ونغازل النرجس المطلول من هاتيك العيون النواظر ، والظلام قد أرخى علينا رواقا ، والكؤوس بهرتنا شموسها بهجة وإشراقا ، وعنبر الدجى يكاد من توقد السرج ينصع ، وأسنة الشموع تشق حداده فيكاد يسطع ، وقطع الند والعود الهندي تشب ، ومقطرات الورد والزهر من سماء القوارير تسكب علينا وتصب ، في لمة من الأعيان تهابهم القلوب وتجلهم الأعيان ما تتملح منهم الابدر محفل ، وليث عرين وصدر جحفل ، وبحرا يتدفق بالندى والدب ، وروضا تنسل إليك به نسماته من كل حدب .

فناهيك عن ليلة قطعناها بالمسامرة ما أقصرها بعمر وأطولها في الفخر يباع ، وناهيك من أنس أدرنا بها كؤوسه مثنى وثلاث ورباع ، والسعد خديم والسرور نديم .

ولما هصرت من الأماني غصونها ، واقتطفت من ثمارها قطافا ، وانتشقت من رياض التهاني نسمات أزهار خمائلها ، فأمالت مني أعطافا ، واشتملت على لبي من طلاوة شمائلها هاتيك الشمول .[2]

يمكن الاستعانة بهذه المبادئ الأساسية للمنهج الأسلوبي ومختلف مستوياتها لمقاربة القصيدة المعروضة للدراسة والموازنة بينها وبين الوصف النثري لهذه الليلة :

مبادئ الأسلوبية ومستوياتها :

يمكن الاستعانة بهذه المبادئ والمستويات لمقاربة النص المقترح وتحليله .

---

[2] - أحمد بن عمار الجزائري : ديوان أشعار جزائرية تح/ أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1988 ص ، 57- 58

المبادئ :

ـ الاختيار (الاستبدال) يتخير اللفظ المناسب في سياق الجملة والنص .

ـ التركيب (التوزيع) إحكام التركيب للكلمات المختارة .

ـ الانزياح : قضية أساسية في تشكيل جماليات النصوص الأدبية (المستوى الإبداعي) اختراق المبدع الاستعمال المألوف للغة (الوظيفة الإبلاغية) ، وهو بمثابة الأسلوب الأدبي ذاته .

المستويات :

ـ المستوى الصوتي : المجهورة والمهموسة ودلالاتها .

ـ المستوى التركيبي :

ـ دراسة الجمل الاسمية والفعلية ، الشرطية ، المثبتة والمنفية ، الطول والقصر ... .

ـ دراسة الأفعال ودلالاتها الزمنية ، والمعاني التي تؤديها .

ـ المعرفة والنكرة ودلالة كل منهما .

ـ التقديم والتأخير وأثرهما في المعنى .

ـ المستوى التصويري : علم البيان والتراكيب المجازية بمختلف أنواعها .

ـ المستوى الإيقاعي :

ـ الموسيقى الخارجية : الوزن والقافية .

ـ الموسيقى الداخلية : التكرار في الكلمة أو الصيغة الصرفية أو الجملة . [3]

[3] - ينظر محمد الهادي الطرابلسي : تحاليل أسلوبية ، دار الجنوب للنشر ، تونس ط2 2015 ص 13 - 39

قائمة المصادروالمراجع :

القرآن الكريم رواية ورش

المصادر:

1. الآمدي (الحسن بن بشر) : الموازنة بين أبي تمام والبحتري ، دار الكتب العلمية بيروت ط1 2006

2. أبو تمام (حبيب بن أوس) : الديوان ، شرح الخطيب التبريزي ، دار المعارف بمصر ، د . ط المجلد 2 1987

3. أبو العتاهية (إسماعيل بن القاسم): الديوان ، دار بيروت للطباعة والنشر 1986

4. أبو نواس (الحسين بن هانيء : الديوان ، برواية الصولي ، تح/ بهجت عبد الغفور الحديثي ، دار الكتب الوطنية ، أبو ظبي 2010

5 . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دار الكتب بمصر ج4 2010

6 . ابن الخطيب (لسان الدين) : ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع القاهرة ط1 ج2 1998

7 . ابن عبد ربه : العقد الفريد تح/ مفيد محمد قميحة ج2 دار الكتب العلمية بيروت ط1 1983

8. ابن الفارض (عمر): الديوان شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية بيروت 1971

9. ابن المقفع (عبد الله) : كليلة ودمنة ، المطبعة الكاثوليكية بيروت 1957

10 - ابن هانئ : الديوان تح/ محمد اليعلاوي دار الغرب الإسلامي 1995

11. البحتري (عبادة الوليد) : الديوان ، تح/ حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ج2 ط3 1972

12. البغدادي (عبد القاهر) : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، عقائد الفرق الإسلامية وآراء كبار أعلامها تح/ لجنة إحياء التراث العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت ط5 1982

13. التوحيدي (أبو حيان) : الإمتاع والمؤانسة ، تح/ أحمد أمين وأحمد الزين ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ج2 د . ت

14 - الجاحظ (عمرو بن بحر) :

- الحيوان تح / وشرح عبد السلام هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ج7 1968

- البيان والتبيين تح / عبد السلام هارون ج4 مكتبة الخانجي بالقاهرة ط7 1998ص 24

- الرسائل ، تح/ عبد السلام هارون ج3

15. الحلي (صفي الدين) : الديوان ، تقديم سليم البستاني دار صادر بيروت د.ط ، د . ت

16. الرندي (أبو البقاء) : الديوان تحقيق ودراسة ، حياة قارة ، مركز البابطين لتحقيق المخطوطات الشعرية ط1 2010

17- الغزالي (أبو حامد): المهذب من إحياء علوم الدين ، دار القلم ، دمشق ج1 ط 1 1993 18 -

القيرواني (ابن رشيق) : العمدة في صناعة الشعر ونقده ج1 مكتبة الخانجي بالقاهرة د . ط 1907

19. المتنبي (أبو الطيب) : الديوان شرح العكبري ، دار المعرفة بيروت لبنان ج4 د . ت

20 - المسعودي (أبو الحسن علي) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي ج4 المكتبة العصرية صيدا بيروت ط1 2005

21. المعري (أبو العلاء) : رسالة الغفران ، تح/ وشرح بنت الشاطيء ، دار المعارف بمصر ط7

22. الهمذاني (بديع الزمان) : المقامات شرح محمد محي الدين عبد الحميد دار الكتب العلمية بيروت د . ت

المراجــع :

1. إبراهيم (زكي) : أبو حيان التوحيدي ، أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء ، سلسلة الأعلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974
2. إسماعيل (عز الدين): في الشعر العباسي الرؤية والفن ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، ط1 1994

3. آيت لعميم (محمد): المتنبي الروح القلقة والترحال الأبدي المطبعة والوراقة الوطنية 2010.
4. الأيوبي (ياسين) : صفي الدين الحلي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1971 من مقدمة الكتاب ص ب
5. أبو ربيع (محمد) : في تاريخ الأدب العربي القديم ، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان الأردن 1990
6. أبو علي(نبيل خالد) : الأدب بين عصرين : المملوكي والعثماني ج1 دار المقداد للطباعة غزة فلسطين 2007
7. أبو ملحم (علي) : علاقة آثار الجاحظ بشخصه وعصره ضمن رسائل الجاحظ دار مكتبة الهلال ط1 1987
8. ابن عمار (أحمد)الجزائري : ديوان أشعار جزائرية تح/ أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1988
9. بكار (توفيق): في جدليات النص الأدبي ، الدروس العمومية ، منشورات كلية الآداب بمنوبة تونس 1990
10. بوعياد (محمود) : جوانب من الحياة في المغرب الأوسط ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر د.ت
11. التطاوي (عبد الله) :
- القصيدة العباسية قضايا واتجاهات مكتبة غريب ط1 1982
- أشكال الصراع في القصيدة العربية في العصر العباسي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ط1 2003-2004
12. حسن أحمد عيسى : الإبداع في الفن والعلم د.ط المجلس الوطني للغات والفنون والآداب الكويت 1979
13. حسين (طه) :
- تجديد ذكرى أبي العلاء ، دار المعارف بمصر ط 6 1963
- مع المتنبي ، دار المعارف بمصر ط 9 د . ت
14. الحوفي (أحمد محمد): أبو حيان التوحيدي ، مكتبة نهضة مصر ط2 د . ت

15- خالد (أحمد) : ابن هانئ الشركة التونسية للتوزيع ، تونس 1976

16- خفاجي (محمد عبد المنعم) :

- أبو عثمان الجاحظ دار الكتاب اللبناني بيروت ط1 1973

- الأدب الأندلسي التطور والتجديد ، دار الجيل بيروت ط1 1992

17- خلف الله (محمد) : دراسات في الأدب الإسلامي ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر د . ط 1947

18- الداية (محمد رضوان): في الأدب الأندلسي دار الفكر المعاصر بيروت ط1 2000

19- الدوري (عبد العزيز) : العصر العباسي الأول ، دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ط3 1997

20- الركابي (جودت) : في الأدب الأندلسي دار المعارف بمصر ط2 1966

21- الزعيم (أحلام) : قراءات في الأدب العباسي ، الحركة الشعرية ، جامعة دمشق ط 1 1997

22-سعد الله (أبو القاسم) أشعار جزائرية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر . د . ط 1988

23- شرارة (عبد اللطيف) : أبو الطيب المتنبي الشركة العالمية للكتاب ط1 1988 24- شعيب (محمد عبد الرحمن) : المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث : دار المعارف بمصر ط1 د . ت.

25- الشادلي (محمد فرج) وآخرون : القطوف الدانية ، نشر الشركة التونسية للتوزيع تونس د . ط د . ت

26- طمار (محمد):

- تاريخ الأدب الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر د.ت

- الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1983 27- الطرابلسي (محمد الهادي) : تحاليل أسلوبية ، دار الجنوب للنشر ، تونس ط2 2015

28- ضيف (شوقي) :

- تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول ، دار المعارف بمصر ، ط8 ، د . ت

- الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 10

29- عبد المجيد (رفد إياد) : شعر صفي الدين الحلي ، دراسة تحليلية فنية ، دار دجلة الأردن ط1 2015

30- عتيق (عبد العزيز) : الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية بيروت د.ت

31- العشماوي (محمد زكي) : أعلام الأدب العربي الحديث واتجاهاتهم الفنية ، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع الإسكندرية مصر 2000

32- عنان (عبد الله) : لسان الدين بن الخطيب ، حياته وتراثه الفكري ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ط1 1968

33- عيسى و أمين (فوزي) : في الأدب العباسي ، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية مصر ، د . ط 2004

34- الفاخوري (حنا) : الفخر والحماسة دار المعارف بمصر ط5 1968

35- القاضي (محمد) : تحليل النص السردي ، بين النظرية والتطبيق ، دار الجنوب ، تونس ط1 1997

36- مواقي (عثمان) : الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم ، تاريخها وقضاياها ، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ط3 2000

37- المناعي (مبروك) : أبو الطيب المتنبي ، قلق الشعر ونشيد الدهر ، سلسلة عيون الدراسات ، دار اليمامة للنشر والتوزيع تونس 1992

38- هدارة (محمد مصطفى) : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري دار المعارف بمصر د.ط د. ت

39- هيكل (أحمد) : الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، دار المعارف بمصر د . ط 1985

40- الواد (حسين) : المتنبي والتجربة الجمالية عند العرب ، تلقي القدماء لشعره ، دار الغرب الإسلامي ط2 2004

المعاجم :

1- أنيس (إبراهيم) وآخرون : المعجم الوسيط ، دار المعارف بمصر ط2 ج2 1973

2- التونجي (محمد) : المعجم المفصل في الأدب ج1 ط 2 دار الكتب العلمية بيروت 1999

الدوريات :

1- اليعلاوي (محمد): في إمكان الأدب الحماسي في عصرنا الحاضر ، مجلة الفكر العدد1 1970

2- الرويلي (حمدة بنت مشارك) : وصف الأطلال في الشعر العباسي ، قصيدة « سلام عليكم » أنموذجا ، دراسة نقدية ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز للآداب والعلوم الإنسانية ، مجلد 28 العدد 8 2020

3- الجلجولي (محمود أحمد) ، الدهون (إبراهيم مصطفى) : بنية اللغة الشعرية في خطاب الموت عند أبي العتاهية ، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 17 العدد 2 2020

4- بوعزيز (يحيى) : تلمسان منشورات دار الثقافة والسياحة الجزائر د. ت والمهدي البوعبدلي : أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ مجلة الأصالة الجزائر العدد 26 1975

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
مقدمة	3-1
أولا : الأدب العباسي	
المظهر الحضاري وانعكاسه على الحياة الأدبية	18-5
-الحياة السياسية في العصر العباسي	6
-الحياة الاجتماعية في العصر العباسي	10
-الحياة الفكرية في العصر العباسي	13
النزعة التجديدية وأثرها في الشعر العباسي	30-19
-التجديد في الموضوعات القديمة	24
-الموضوعات الجديدة	26
-التجديد في الأوزان والقوافي	27
-أبو نواس الروح الحائرة	34-31
-نبذة عن حياته	31
-تطبيق	33
-أبو العتاهية زعيم الحركة الزهدية	38-35
-نبذة عن حياته	35
-تيمة الموت في شعر أبي العتاهية	36
-تطبيق	37
-البحتري شاعر الوصف والعتاب	42-39
-نبذة عن حياته	39
-تطبيق	39
-أبو تمام شاعر الحماسة	48-43
-نبذة عن حياته	43
-مفهوم الحماسة	45
-تطبيق	46
-المتنبي الظاهرة الشعرية	57-49
-نبذة عن حياته	49
-وظيفة الشعر	51
-الحكمة	52
-اللغة الشعرية عند المتنبي	53
-ظاهرة الألم عند المتنبي وبواعثه	53
-تطبيق	55
-ابن المقفع النص المخاتل	63-58
-نبذة عن حياته وآثاره	58
-تطبيق	60

-بديع الزمان الهمذاني	70-64
-نبذة عن حياته	64
-المقامات ظرب من الصناعة	64
-تطبيق	65
-الجاحظ رجل أدب وعلم	83-71
-نبذة عن حياته	71
-النزعة العقلية عند الجاحظ	74
-تطبيق	78-74
-مكانة الجاحظ	81
-أبو حيان التوحيدي فيلسوف الأدباء	87-84
-حياته وآثاره	84
-تطبيق	85
-أبو العلاء المعري رهين المحبسين	91-88
-نبذة عن حياته وآثاره	88
-تطبيق	89
ثانيا:الأدب الأندلسي	
قصة الأدب و الحضارة في الأندلس	108-93
-أولية الثقافة الأندلسية	97
-الشعر	97
- النثر	100
-ابن هانئ الأندلسي	101
-نبذة عن حياته	101
-تطبيق	102
-لسان الدين ابن الخطيب	104
-نبذة عن حياته	105
-تطبيق	106
ابن زهر الإشبيلي	112-109
-نبذة عن حياته	109
-موشح أيها الساقي	110
-الموشح ومكوناته	111
-أبو البقاء الرندي	116-113
-نبذة عن حياته	113
-تطبيق	114
ثالثا: الأدب في العهد المملوكي	123-118
-صفي الدين الحلي شاهد على العصر	123-118
-نبذة عن حياته	119
-تطبيق	120
رابعا : الأدب في العهد الزياني	
-أبو حمو الزياني السلطان الشاعر	130-125
-في الجانب السياسي	125

-في الجانب الاجتماعي	126
-في الجانب الثقافي	127
-تطبيق	127
خامسا :الأدب الجزائري في العهد العثماني	
-ابن عمار الجزائري شاعر الطبيعة والجمال	136-132
-نبذة عن حياته	132
-تطبيق	132
-مبادئ الأسلوبية ومستوياتها	135